وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⴰⵢⵏⵜⴰⵏⵉⵓⵏⵉⵎⵓⵏⵉⵏⵜⵙⵉⵏⵜⵙⵉⵙⵏⵜⵉⵙⵙⵉⵍⵜⵉⵏⵜⵉⵙⵙⵉⵍⵜ

ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵜⵣⵔⴼⵜ ⵜⵉⵣⵉ ⵡⵣⵓ

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU

جامعة مولود معمري – تيزي وزو

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

كلية الآداب واللّغات

Département de Langue et littérature Arabes

قسم اللّغة العربية وآدابها

رقم الترتيب. . . . . .

الرقم التسلسلي. . . . . .

مشروع مذكرة تخرّج لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي

الفرع: دراسات أدبية

التخصص: أدب حديث ومعاصر

عنوان المذكرة

صورة اليهودي في رواية "أنا وحاييم" للحبيب السايح

إعداد الطالبة:

تسعديت قوسم

إشراف الأستاذ:

د. عزيز نعمان

أعضاء لجنة المناقشة:

د. تسعديت بن أحمد، أستاذة محاضرة صنف "ب"، جامعة تيزي وزو ..... رئيسة

د. عزيز نعمان، أستاذ محاضر صنف "أ"، جامعة تيزي وزو ..... مشرفا ومقررا

أ. جمال بن عمار، أستاذ مساعد صنف "أ"، جامعة تيزي وزو ..... ممتحنا

السنة الجامعية: 2019-2020.

كلمة شكر

الحمد لله غافر الذنوب ومشفي القلوب وملهم الصبر فهو المعبود.

أتقدم بالشكر والحمد للمولى القدير الذي جعلني اخط بقلمي هذا عبارات الشكر والحمد .

على قول الرسول صلى الله عليه وسلم" من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب."

أشكر جميع من ساهم من قريب أو من بعيد في هذه المذكرة خاصة الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث الأستاذ" عزيز نعمان " فجزاه الله كل خير وله مني كل التقدير والامتنان والاحترام .

وبعده أشكر بصفة خاصة عمي" الأستاذ عيسى "،

أشكر صديقتي دهبية

و في الأخير أسأل المولى عز وجل أن يجعله من صالح أعمالنا .

الإهداء

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المشرف بالشفاعة، المخصوص بقيام شريعته إلى قيام الساعة، وعلى أله الأطهار، وأصحابه الأبرار، وأتباعه الأخيار، صلاة باقية ما تعاقب الليل والنهار.

إلى التي يعجز اللسان عن التعبير عنها، وتجف الأقلام للكتابة عليها، إلى التي فرشت دربي بالعطف والتي ربتني على أسمى الأخلاق، إلى قدوتي في هذه الحياة "أمي الغالية ".

إلى الذي لا أمان بدونه، سندي في الحياة، إلى من يسعى دائما وراء نجاحي، تاج رأسي وولي عوني، مصدر ثقتي وإلهامي، سر توفيقي ونجاحي، أبي حفظه الله.

إلى من هم سندي في هذه الحياة أخواتي سامية، مونية، نسرين.

إلى أخي الوحيد ماسينيسا.

إلى الروح التي سكنت روحي زوجي العزيز كوسيلا.

إلى كل من لم تسعهم ورقتي ووسعهم قلبي.

الطالبة قوسم تسعديت

مقدّمة

مقدمة

تعد الرواية من الأجناس الأدبية الشائعة في عصرنا والأكثر تداولا وتوظيفا لدى مجموع الأدباء في مختلف بلدان العالم، وهي من أبرز الطرق الإبداعية التي يتقصدها الكاتب لتجسيد أفكاره، وإثارة أهم القضايا الحساسة المتصلة بالمجتمع، ومجالات الحياة المختلفة، ويتعدى الأمر تصوير القضايا المألوفة وتمثيلها إلى قضايا محرمة، مسكوت عنها، ترتبط أساسا بالدين والجنس والسياسة.

تستوقفنا في هذا الصدد، إحدى المسائل الطاغية على مجتمعاتنا، وهي مسألة التمييز العنصري، والتفرقة بين الأجناس البشرية باسم الدين، وسنستند في دراستها على إحدى الروايات الجزائرية المعاصرة التي صدرت مؤخرا للحبيب السائح، وهي رواية "أنا وحاييم" (2018). والعمل في مجموعه يظهر جوانب عديدة من التعايش المفترض بين المسلم واليهودي في كنف جزائر محتلة، ومستقلة، كما يبرز مظاهر الإقصاء الحاصلة باسم الدين، ويؤسس لهوية وطنية مركبة.

من الأسباب التي دفعتنا إلى الخوض في موضوع بحثنا الموسوم "صورة اليهودي في رواية «أنا وحاييم» للحبيب السائح"، اعتقادنا بأن تيمة التمييز الديني، والعنصرية المنجرة عنها، من بين أسباب الصراعات المعاصرة بين المجتمعات الإنسانية؛ وكذا رغبتنا في معرفة كيفية مرافعة الأدباء الجزائريين، بوجه خاص، في صالح اليهود الجزائريين، وكسرهم لطابو الدين في صالح– أو غير صالح– تلك الفئة، ودراسة التقنيات الأدبية المنتهجة في ذلك، لاسيما لدى "الحبيب السائح".

وتدفعنا هذه المسائل الدقيقة، التي عايناها سابقا، إلى طرح إشكالية مركزية نصوغها على النحو الآتي: كيف صور الحبيب السائح اليهودي في روايته "أنا وحاييم" ؟ وعلى ماذا ارتكز في ذلك؟

تتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة جزئية، نعددها فيما يلي:

- كيف صورت الرواية الجزائرية الهوية الجزائرية في إطارها المركب؟
- ما مظاهر تمثيل اليهودي واستحضار صورته في رواية "أنا وحاييم" للحبيب السائح؟
- كيف قابل الحبيب السائح، في روايته، منطق التهميش والعداء والرفض؟

نفترض أن يكون حرص الأدباء الجزائريين على إظهار معالم الهوية الوطنية قويا ومؤسَّسا على ضرورة إبراز البعد التاريخي، الثقافي والديني، والعمل على تمثيل ذلك كله في أعمالهم الأدبية، بحثا عن الحقيقة الإنسانية وإحقاقا لها. كما نفترض أن يلجأ الروائي الجزائري "الحبيب السائح"، في روايته "أنا وحاييم"، إلى إبراز مظاهر الحوار بين المسلمين واليهود، واقتحام المسكوت عنه، وملء فجوات التاريخ الجزائري، تجسيدا لقناعته بأن اليهود الجزائريين شكلوا جزءا لا يتجزأ من مكونات البلاد البشرية، والتاريخية والثقافية، ليسهم بذلك في التأسيس لثقافة التعايش الديني.

للإجابة عن أسئلة الإشكالية اعتمدنا على بعض مفاهيم النقد الثقافي وما بعد الحداثة المرتبطة بالتهميش، الذاكرة المضادة، المسكوت عنه، والأقليات والدين، كما استندنا على المنهج التاريخي في دراسة بعض القضايا المتصلة بالتاريخ الجزائري في علاقتها بالحاضر، كقضايا الهوية والثورة والاستعمار، وبعض ما سُكت عنه.

وقد قسمنا بحثنا إلى فصلين وخاتمة، يتكون الفصل الأول، الموسوم "الرواية الجزائرية وسؤال الهوية"، من مبحثين، يعالج الأول مسألة "تمثيل الهوية في الرواية الجزائرية"، ويتطرق الثاني إلى "المحظور في الرواية الجزائرية". أما الفصل الثاني المعنون بـ" تمثيل اليهودي وإبرازه في رواية «أنا وحاييم» "للحبيب السائح"، فيتكون بدوره من مبحثين، يدرس الأول "مظاهر تمثيل اليهودي"، ويهتم الثاني بـ"تجلي القيم وجلاؤها". وأنهينا بحثنا بخاتمة سجلنا فيها أهم النتائج التي تسنى لنا الوصول إليها.

ومثل أي بحث أكاديمي، واجهتنا بعض الصعوبات التي عرقلت صيرورة البحث، لعل أبرزها قلة المصادر والمراجع خاصة في ظل انتشار وباء "كورونا" الذي أغلق كل السبل للوصول إلى المكتبات، ونقص الدراسات المرتبطة بموضوع تمثيل الأقليات اليهودية في البلدات المغاربية.

استطعنا، ولله الحمد، تذليل تلك الصعوبات، ومكنتنا الرغبة الجامحة والإرادة القوية من مواصلة البحث توقا لإبراز قيم الأخوة والتعايش والحوار التي جسدتها رواية "أنا وحاييم" والتي سعى بحثنا لفهم سبيل تمثلها أدبيا.

لا يسعني في النهاية إلا أن أتوجه بالشكر الخالص إلى الأستاذ المشرف "عزيز نعمان" الذي رافقني في كل مرحلة من مراحل هذا البحث المتواضع، بتوصياته وتواضعه وخاصة صبره، كما لا يفوتني أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة الموقرين على ملاحظاتهم القيمة، وكل أساتذة معهد اللغة العربية وجامعة "مولود معمري" بتيزي وزو.

الفصل الأول

الرواية الجزائرية و سؤال الهوية

المبحث الأول: تمثيل الهوية في الرواية الجزائرية

المبحث الثاني: المحظور في الرواية الجزائرية

المبحث الأول: تمثيل الهوية في الرواية الجزائرية

1-الرواية

أ-لغـة

جاء تعريف الرواية في معجم "اللغة العربية المعاصرة" على النحو الآتي: "روى يروي، ارو، رَيًّا وَرِيًّا، فهو راوٍ، والمفعول مرويّ. روى الزّرع: سقاه. . . روى الحديث: نقله وحمله وذكره "فلان يجيد رواية الشعر- روى الرّواية: قصّها- هم رواة الأحاديث- بالرّواية تنمو الحكاية". يروى أن: يحكى أنّ"[1]. فيتداخل فعل الروي ها هنا مع فعل الحكي.

والرواية- وفق المعجم ذاته-من "مصدر روى. إحدى صور الخير أو الكلام". . . قصة نثرية طويلة، تشغل حيزا زمانيًّا ومكانيًّا معينا، تتضمن أطوارا وشخصيات" رواية بلوسية. يعد نجيب محفوظ أكبر كتاب الرواية في الوطن العربي"[2]، بمعنى أن الرواية تقوم على مجموعة من الشخصيات في حيز زماكاني معين يقومون بأعمال معينة.

كما يعرف معجم "الرائد" الرواية على الشكل الآتي: "روى يروي: رواية. (روي) الحديث: نقله. . . . (روى) على الدابة: استقى. . هُ أو له أو عليه: استقى له الماء. روّأ ترويئًا وتروِئةً. في الأمر: نظر فيه وتأمل ولم يتسرّع"[3]. فالرواية تتطلب الرواء وطول التفكير. ومن هذه التعاريف يتبين لنا أن الرواية فن رحب مرتبط بفعل الحكي، تشمل على شخصيات وأحداث في أزمنة وأماكن متنوعة وكثيرة، يتم سردها بتأن وانتقاء.

ب-اصطلاحا

بعدما كان الشعر ديوان العرب، والملجأ الذي يلجأ إليه الناس سابقا للتعبير عن حياتهم وأفكارهم وعواطفهم، و"أكثر الفنون تعبيرا عن اللحظة الآنية التي يغلب عليها طابع الجو الحماسي

---

[1]-عمر أحمد مختار بمساعدة فريق العمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص. 963.

[2]- م ن، ص. 964

[3]- جبران مسعود، **الرائد**، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، ص. 406

أكثر من الجو التأملي التفكيري"[1]، أخذت الرواية مكانة اليوم، فاستحوذت على عقول وأفكار الكثير من الأدباء والنقاد وحتى الفلاسفة، حيث أصبحت حديث العصر، فهي من أهم الأجناس الأدبية المنتشرة حديثا، التي نالت منزلتها في الطليعة، فيرى "ميشال بوتور" (Michel Butor) أنه " في وقتنا الحاضر لا وجود لشكل أدبي يتمتع بالقوة التي تتمتع بها الرواية"[2] ما جعلها تصنف ضمن أدب فترتي الحداثة وما بعد الحداثة المتناقضتين. فهي تتفوق على الفنون الأدبية الأخرى بسلاستها، ونظرا لمدى اهتمام القراء والأدباء بها، كونها تتجانس وتتفاعل مع الفرد والمجتمع.

وقد حققت الرواية قفزة نوعية من خلال تطرقها لمواضيع مختلفة، وابتكار أشكال كتابية خاصة، تتماشى مع مختلف المواقف والظروف، ثقافية كانت أو اجتماعية أو سياسية، والمميز فيها أنه بإمكانها التطرق إلى مختلف الأزمنة والالتزام بقضايا كل فترة على حدة، إلى جانب قدرتها على استحضار الماضي بصورة الحاضر، لجذب القارئ وحثه على معرفة تاريخ بلده والبحث فيه، ومسايرة الحاضر، إضافة إلى استشراف المستقبل واعتماد التشويق والاستباق في التصوير الفني.

تزعمت الرواية الفنون التعبيرية المنتشرة في القرن الفارط، بفضل امتلاكها قدرات على محاكاة الواقع الخارجي وتجسيده في النص السردي وإنشاء علاقة تكامل بينها وبين محيط الإنسان الاجتماعي، فاستطاعت بفضل حيويتها الاستحواذ على عقول الصغار والكبار ومجاراة رغباتهم، فأصبحت "الرواية في المنتصف القرن العشرين، أوسع أزياء التعبير، الأولوية انتشارا (. . .) إن الرواية تقوم بدور الكاهن المعرف، والمشرف السياسي، وخادمة الأطفال، وصحفي الوقائع اليومية، والرائد، ومعلم الفلسفة. وهي تقوم بهذه الأدوار كلها في فن عالمي يهدف إلى أن يحل محل الفنون الأدبية ويمكن أن يكوّن في أيامنا شكلا معمما للثقافة"[3]، فتعمل الرواية بذلك على تصوير ما يختمر في ذهن الروائي، وتمثيل المرتقب المحتمل تمثيلا متخيلا، من مختلف الزوايا، سواء عبر روايات سير ذاتية أو اجتماعية أو سياسية، وغيرها.

---

[1]– الأعرج واسيني، **اتجاهات الروايات العربية في الجزائر. البحث في الأصول التاريخية والجمالية**، ط1، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص. 63

[2]– ميشال بوتور، **بحوث في الرواية الجديدة**، ترجمة: فريد أنطونيوس، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص. 14

[3]– ر. م. البيريس، **تاريخ الرواية الحديثة**، تر:سالم جورج، ط1 منشورات عويدات، بيروت، 1967، ص ص. 5– 6

عرفت الرواية أول ظهور لها في الساحة الفنية الأدبية بأوروبا، فبدأت "منذ القرن الثامن عشر حاملة رسالة جديدة هي التعبير عن روح العصر، والحديث عن خصائص الإنسان، وهناك من يعتبر رواية "دونكيشوت" لـ "سرفانتس" أول رواية فنية في أوروبا كونها تعتمد على المغامر والفردية"[1]. فقبل هذا التتويج عاشت مرحلة من التهميش، ولكن مع التطور الذي عرفته المجتمعات الأوروبية لم تبق سوى الرواية للتعايش مع هذا التغير ذلك أنها تتسم بالحيوية والتجديد وعدم الثبات عند نقطة واحدة، إذ تبرز عند حلول أي تغير، وهي "حقل فسيح من الكتابات التي تتخذ لها سيرة الاقتدار على التفتح على كل الأشكال العبقرية، بل على كل الكيفيات. إنها ملحمة المستقبل"[2]، ومن ثم لا وجود لمن يضاهيها في ذلك في الساحة الأدبية.

كان للدول العربية احتكاك مع الدول الغربية، مما أدى إلى تأثر المترجمين العرب بالأدب الأوروبي، وكان هذا سببا لظهور الرواية العربية، فـ "يعد اتصال العرب بالغرب الحديث منذ مطلع القرن التاسع عشر من العوامل الحاسمة في ظهور عدد من الأجناس الأدبية الحديثة في الأدب العربي ومنها الرواية"[3]، فتعددت الترجمات والمحاولات، حتى ظهرت رواية "زينب" لـ "محمد حسن هيكل" كأول رواية عربية ناضجة.

عند الحديث عن الرواية العربية يستوقفنا الأدب الروائي الجزائري، المرتبط بهوية الجزائر وحياة مجتمعها، فلهذا البلد متن أدبي روائي عريق يجسد بطولاتها، فـ "الأدب الجزائري هو كل منظوم ومنثور أنتجه أدباء الجزائر منذ نشوء الدولة الجزائرية الحديثة إلى يومنا هذا"[4]، أي منذ أن عرفت الجزائر اهتزازا في محيطها السياسي ودخول المستعمر إليها عام 1830، وقد تمكنت

---

[1]–صالح مفقودة، **أبحاث في الرواية العربية**، ج1، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، الموقع : http://online. fliphtml5. com/znxhn/tflc/#p=1، تاريخ الزيارة: 2020/06/16

[2]– عبد الملك مرتاض، **في نظرية الرواية**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ع 240، الكويت، 1998، ص. 16.

[3]–فاطمة الزهراء حبيب، **ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية. رواية "بماذا تحلم الذئاب" لـ ياسمينة خضرا. دراسة تطبيقية**، إشراف: أ. د حفيظة بلقاسمي، الموقع: https://theses. univ-oran1. dz/thesear. php?id=THA3943، تاريخ الانزال:2015/12/18، تاريخ الزيارة: 2020/06/16

[4]– كريمة محاوي، **محاظرات في الأدب الجزائري الحديث والمعاصر**، الموقع https://www. researchgate. net/publication/339213163_mhadrat_fy_aladb_aljzayry_alhdyth_walmasr، تاريخ الانزال: 2020/02/12، تاريخ الزيارة: 2020/06/17

الرواية الجزائرية، كغيرها من الروايات، من مواكبة العصر وتصوير قضايا الإنسان الجزائري، وتغيير مضامينها وأشكالها لتفرض مكانتها في المشهد الأدبي العربي والعالمي، وهو ما سنحاول إظهاره فيما يلي، من خلال الحديث عن مسارها.

1-1- الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية

عند الحديث عن الرّواية الجزائرية عامة، لا بد من الوقوف عند محطة مهمة من مسارها، وهي الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية باعتبارها الأكثر تطورا وتداولا في فترة الاستعمار الفرنسي، فتميزت بالطابع الثوري، وظهرت ثمة محاولات جادة "للخروج من ضيق الرؤية إلى آفاق أكثر انطلاقا وتقدما، وأكثر إشراقا ووعيا بالمرحلة ومهامها العاجلة وبدور الأدب والفن بشكل عام"[1]، في حين غابت الرواية العربية الجزائرية عن الساحة الأدبية آنذاك، ولم تظهر سوى محاولة "محمد رضا حوحو" الموسومة "غادة أم القرى" والتي اختلف فيها النقاد، فيم إذا كانت رواية أو قصة طويلة.

اتجه الأدباء الجزائريون المفرنسون إلى الكتابة بلغة الآخر، للتعبير عن هموم شعب مستعمَر، وإيصال صوت آهاتهم إلى العالم أجمع، فقد تمردوا على القوة الاستعمارية بمقابلته بأعمالها، وراحوا-في بعض الأحيان- يخاطبون سلطات الاحتلال واصفين الوضع الذي آل إليه بلدهم، فكانت كتاباتهم دالة ومعبرة عن الواقع الأليم، وعن مختلف أنواع العنصرية التي تعرض لها الشعب وعانى منها، وكذا الأحوال الاجتماعية والثقافية والسياسية التي كبّلت وسلبت حياة مجتمع برمته، حيث استهدفت خيرات البلد، من ثروات باطنية وثروات ثقافية وعلمية معرفية، وكان مسعى المستعمر الرئيس هو القضاء على هوية الجزائريين.

لقد أتاحت اللغة الفرنسية للكتاب الجزائريين فرصة الاطلاع على التراث الأدبي الفرنسي العريق والاستفادة منه، وتطوير قدراتهم الفكرية ومهاراتهم اللغوية والفنية من أجل الوصول لكتابة أدب جزائري الهوية، ومن بين أولئك الروائيين نذكر: مولود فرعون، محمد ديب، مولود معمري،

[1]- واسيني الأعرج ، م س، ص. 89

كاتب ياسين، مالك حداد، آسيا جبار، وغيرهم. وقد أقر هؤلاء بتمسكهم بقيم ثقافتهم في أدبهم بوجه عام، بالرغم من اختلاف اللغة، وعلى حد قول واسيني الأعرج فإنهم قالوا بصوت واحد: "نحن نكتب بلغة فرنسية، لا بجنسية فرنسية"[1]، وضمنوا استمرار أدبهم بفضل تعقبهم لواقع وطنهم والسير مع متغيراته. وكان هذا الأدب بمثابة سلاح لجأ إليه الأدباء للكفاح وتأدية واجبهم الوطني بقلمهم مساندة للثوار الذين حملوا السلاح وباشروا العمل الثوري التحرري.

1-2- أسباب تأخر الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية

نظرا للظروف الاجتماعية والسياسية الصعبة التي عاشها المجتمع الجزائري في فترة الاستعمار، " ظهرت الرواية العربية الجزائرية متأخرة بالقياس إلى الأشكال الأدبية الحديثة مثل المقال الأدبي والقصة القصيرة والمسرحية "[2]، فلم يحظ الأدب الجزائري بالرعاية اللازمة ليتطور ويخرج إلى العالم، فقد توجه البعض إلى توصيل أفكارهم عن طريق الفن القصصي، لكن لم يتأتّى لهؤلاء تبليغ رسائلهم الفنية على أكمل وجه، لأن الشعب، الذي كان أميا في قسمه الأكبر، لم يهتم بقصصهم بسبب تفكيره بمآسيه فقط.

وبعد فترة ظهرت الكتابة باللغة الفرنسية، التي اتخذها بعض الكتاب فرصة للتعبير عما يعانونه من قمع واستبداد على يد الاستعمار، ووسيلة لاطلاع العالم على أحوال شعوبهم. فالمستعمِر أول من أعاق ظهور الأدب الجزائري العربي، ثم تأتي ظروف البلاد التي حالت دون اهتمام أبناء الشعب، المتعلمين، منهم بوجه خاص، بالأدب، حيث ولّوا تركيزهم قِبَل العمل الثوري التحرري، وهذه الظروف لم تتح الفرصة للكاتب الجزائري لإبراز قدراته في الإبداع، ذلك أن الأدب الروائي يحتاج لوقت طويل وصبر ليعطي ثماره، وهو ما لم يكن متاحا في تلك الحقبة حيث ارتبط الإبداع النثري وقتها بالفن القصصي باعتباره يحاكي الحالة المأساوية للجزائر، إذ "أخذ الكتاب

[1]- واسيني الأعرج، م س، ص. 74

[2]- عبد الله الركيبي، **تطور النثر الجزائري الحديث**، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 198

يطوّعون اللغة للتعبير عن عواطفهم وأفكارهم بلغة فنية ظهرت في الإنتاج القصصي"[1]، باعتباره جنسا أدبيا يحمل قابلية مواكبة الوضع السائد واحتواء حياة المستعمَر المتدنية.

أسهمت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بدورها في هذا التأخر، إذ كانت تحتل المساحة الأكبر في الساحة الأدبية، وكانت الكتابة بها– في واقع الأمر–الوجهة الأصح، ذلك أن المستعمر استولى على معالم الثقافة الجزائرية، وهدم مراكز التعليم والزوايا والمساجد، وسعى لفرض سياسة الحصار الثقافي، "فلم يستهدف الاستعمار استيطان الأرض واغتصاب خيراته فقط، ولكنه عمد كذلك إلى فصل الشعب الجزائري عن جذوره، وقطع أواصره العربية الإسلامية، وذلك بالقضاء التدريجي المتعمد على اللغة العربية والثقافة الإسلامية، ومصادرة الحريات العامة، والاستعاضة عنها بنشر ثقافته ولغته وصحافته الناطقة بآرائه"[2]. وتم، علاوة على ذلك، احتكار وسائل الإعلام والنشر، كي لا يتمكن الأدباء الجزائريون من نشر كتاباتهم، وللحيلولة دون زرع روح الوطنية وبثها بين أبناء الشعب، كما استُهدفت اللغات الوطنية، ووُضعت في مرتبة دنيا، مقابل فرنسية معتمدة في التدريس والإدارة، بل في جوانب الحياة المختلفة.

كما استُهدف الأطفال الجزائريون وتم التمييز بينهم وبين الفرنسيين في مجال التعليم، فكان "3. 8% من الأطفال المتمدرسين هم من الجزائريين يقابلهم 84% من الأوربيين"[3]، فقد حرم الإنسان الجزائري من أدنى حقوقه في التعليم وطلب المعرفة، لأن الأولوية كانت دائما للطبقة البرجوازية والفرنسيين بدرجة أولى، ثم يأتي أبناء الذوات الميسورين والمثقفين، مقابل تهميش فئة الفقراء، ما أسهم في شيوع الطبقية. وكل هذه الأسباب عرقلت تطور الأدب العربي الجزائري، وأخّرت الرواية المكتوبة بالعربية إلى غاية انقضاء عقد من الزمن بعد الاستقلال الوطني.

---

[1]–واسينى الأعرج، م. س، ص49

[2]– محمد صالح الجابري، **الأدب الجزائري المعاصر**، ط1، دار الجبل، بيروت، 2005، ص. 11

[3]– سعد مومن، **الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية (1945/1920)**، الموقع:http://alantologia. com/blogs/12542/، تاريخ الانزال: 2018/10/11، تاريخ الزيارة: 2020/06/18

1-3- الرواية المكتوبة بالعربية في السبعينيات

ما أن جاءت فترة السبعينيات، حتى ظهرت بعض الأعمال الأدبية التي تمكنت من إخراج هذا الفن من الإقصاء والغياب، إلى الوجود والفاعلية، وأصبحت الراوية الجزائرية المكتوبة بالعربية وليدة السبعينيات، وهي "الفترة الفعلية لظهور رواية فنية ناضجة، من خلال أعمال «عبد الحميد بن هدوقة» «ريح الجنوب»، و«مالا يذروه الرياح» لـ«محمد عرعار»، و«اللاز» لـ «الطاهر وطار»، و«الزلزال». ومن هنا تتكون تجربة روائية جزائرية جديدة متقدمة، من سماتها الشجاعة في الطرح والمغامرة الفنية، والحرية السياسية، والطابع السياسي لم يحل دون الطرح الجذري الذي اتسمت به هذه النصوص الروائية القائم على محاكمة التاريخ والواقع الراهن بلغة فنية جديدة"[1]. وتمكنت من كسر الحدود والقيود التي اعترضت طريق المبدعين فيما مضى، وأبرزها اللغة وعناصر الهوية المستردة. وبذلك حققت الرواية الجزائرية العربية لنفسها حضورا في المشهد الثقافي الجزائري، وكان "عبد الحميد بن هدوقة"، كما أسلفنا الذكر، من الأدباء الذين شقوا طريقا واسعة في عالم السرد الروائي.

بلغت الرواية الجزائرية تدريجيا ذروتها من حيث تنوع المواضيع، وعبر التحول الشكلي والأسلوبي، وتجريب عدة تقنيات من أجل إثراء بناها الفنية، "فقد لجأت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية إلى توظيف العديد من الأجناس الأدبية، وغير الأدبية، ضمن بنيتها التكوينية، كالمقاطع الشعرية، والنصوص التاريخية، والدينية، والقصاصات الصحفية، للتعبير خاصة عن الواقع الأليم، باعتبار أن تلك الأجناس، خاصة خارج الأدبية، أشكال تتبني، أو مبنية على الواقع الحقيقي، خاصة القصاصات والتعاليق الصحفية"[2]، فكان لها القدرة على استيعاب الفنون الأدبية الأخرى، من قصة، ومسرحية، وشعر، وتمكنت من الربط بينها، باعتبارها فنا حواريا تفاعليا بدرجة أولى.

---

[1]-حياة لصحف، **جماليات الكتابة الروائية. دراسة تأويلية تفكيكية**، إشراف: أ. د. محمد بلقاسم، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2016/2015، ص. 12

[2]-عبد الحق عمرو بلعابد، **سرديات المحنة (الرواية الجزائرية، من تجريب الكتابة إلى كتابة التجريب)**، مجلة الآداب، ع2، جامعة الملك سعود، الرياض، 2015، ص. 54

وما أن جاء فكر ما بعد الحداثة حتى تغيرت الرؤى والنظريات، حيث رفض كل ما هو مألوف وبدأ السعي لكشف المهمّش والمختلف، وقد عبرت الرواية في هذه المرحلة عن القضية الجزائرية لكن بالاعتماد على أشكال جديدة غير معروفة ، وهذا بسبب" أن القص ما بعد الحداثي يحاول أن يقرأ الواقع كما هو بكل تشظيه وتناقضاته، وينقل صراعات الشخصيات الفكرية والنفسية"[1]، والخوض في هذه المسائل يستدعي التمكن اللغوي والأسلوب الرفيع.

2- الهوية

أ- لغة

يعرّف الشريف الجرجاني الهوية في معجمه "التعريفات" قائلا: "الهوية الحقيقية المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"[2]، فهي بمثابة البذرة التي تعطيها الشجرة وتتحدد بها وتكتسب ماهية ومميزات تميزها عن أشجار أخرى. وتمثل الهوية "إحساس الفرد بنفسه وفرديته وحفاظه على تكامله وقيمته وسلوكياته وأفكاره في مختلف المواقف"[3]، مما يبين انتمائه وخصوصياته.

كما يعرفها معجم الرائد على النحو الآتي "الرواية: الحقيقة المطلقة في الأشياء والأحياء المشتملة على الحقائق والصفات الجوهرية: "هوية النفس الإنسانية، بطاقة الهوية. منسوبة إلى هو"[4]. وبالتالي نستنتج أن الهوية هي حقيقة الإنسان الثابتة التي تعطيه وجوده وانتماءه للجماعة التي ينتمي إليها.

---

[1]-مصطفى عطية جمعة، **ما بعد الحداثة في الرواية العربية الجديدة (الذات، الوطن، والهوية)**، ط1، الوراق للنشر التوزيع، عمان، 2011، ص. 34

[2]-الشريف الجرجاني، **التعريفات**، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 1413، ص. 216

[3]-عمر أحمد مختار، م س، ص. 2372

[4]-جبران مسعود، م س، ص. 847

ب- اصطلاحا

أصبح سؤال الهوية من أهم القضايا المتداولة في مجتمعات العالم برمتها، إذ يشكل موضع اهتمام دراسي الغرب والشرق معا، ما جعل المفاهيم حوله تتعدد وتتشعب وصعّب أمر الإجماع على مفهوم واحد لدى المنظرين الباحثين، ولعل السبب الرئيس في ذلك ارتباط الهوية بحياة الفرد والمجتمع والأمة عامة.

عرّف "أليكس ميكسيللي" (ALEX MUCCHIELLI) الهوية بأنها "منظومة من المعطيات المادية، والمعنوية والاجتماعية، التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفية. ولكن لا يمكن لمثل هذه المنظومة أن تكون في حيز الوجود مالم يكن هناك شيء ما يعطيها وحدتها ومعناها، ويتمثل ذلك في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصة الإحساس بالهوية والشعور بها"[1]، فالهوية لا توجد إلا مع وجود ذاتي للإنسان، تظهر بفعل قوة تحاول احتكارها، ثم تنمو وتتطور مع مرور الوقت، خاصة لدى احتكاكها مع الواقع الاجتماعي الخارجي والتعايش مع أفراده.

ويرى "عبد الحكيم أحمين" بأن الهوية "معرفة وإدراك الذات القومية ومكوناتها من القيم والأخلاق والعادات والتقاليد، وهي سمات وخصائص يتميز بها شعب ما عن غيره من الشعوب، وترتبط هذه السمات بالسلوكيات العامة لمجموع الأفراد والعلاقات السائدة والمنتج الفني والثقافي، لهذه المجموعة أو هذا المجتمع "[2]، وهنا تظهر الهوية باختلاف العادات والقيم والموروث الثقافي من مجتمع لآخر، فيتم إهمال الجانب الذاتي للأفراد قصد تحقيق الوحدة الاجتماعية، لتصبح لكل شعب خصائصه ومميزاته التي تبنى صورته وشخصيته الجمعية الفريدة.

أما "حسن حنفي" فيقول "ليست الهوية موضوعا ثابتا أو حقيقة واقعة بل هي إمكانية حركية تتفاعل مع الحرية. فالهوية قائمة على الحرية لأنها إحساس بالذات, والذات حرة. والحرية قائمة على الهوية لأنها تعبير عنها. والحرية تحرر أي أنها إمكانية لأن يكون الإنسان حرا. الهوية

---

[1]- أليكس ميكسيللي، **الهوية**، تر: على وطفة، ط1، تنفيذ دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، 1993، ص. 129

[2]-عبد الحكيم أحمين، **الهويات الافتراضية في المجتمعات العربية**، د ط، مر: محمد شمدين، دار الأمان، الرباط، 2017، ص. 06

إمكانية على إمكانية. الهوية إذن ليست شيئا معطى بل هي شيء يخلق"[1]، فإذا قمنا بربط الهوية بموضوع حقيقي واقعي فسنربطها بالحرية باعتبارها تستمد وجودها منها وإحساسها بالذات، كما تسايرها في الحالات المجتمعية فتتغير مع الحرية من جهة، وتفقد أو تنهار عند الحرب، من جهة أخرى، فاستمرارها مرتبط باستقلالها.

ونجد من المعاصرين "محمد صالح الهرماسي" الذي يقول "إن هوية ظاهرة ما، هي ما يجعلها مختلفة عن غيرها ، فهي تعبر عن الخصائص المتفردة بها كل أمة عن غيرها "[2]. ويشمل هذا التمييز، في التاريخ الحضاري، الموقع الجغرافي، الثقافة، التدين، وعناصر أخرى خاصة.

ومن هذه التعريفات يمكن القول إن الهوية مصطلح مرتبط ارتباطا وثيقا بالذات الفردية للإنسان منذ ولادته، والتي تتطور وتتعزز مع مرور الوقت وتتأثر بالواقع الخارجي نتيجة علاقات سلوكية تصدر من الجماعة، مؤسسة خصائصها الثقافية والإيديولوجية (العادات والتقاليد، الثقافة، التاريخ، اللغة، . . .). ولا تنفصل الهوية عن الحرية التي يحرص المجتمع على صيانتها في الظروف العادية ويجاهد لاستردادها والتخلص من الهمجية الاستبدادية والقيود التي تقيد وتعيق وجودها. فالهوية في كنف الحرية هي حصن الأمة ومصدر قوتها ومناعتها التي يتعين الدفاع عنها والحفاظ عليها، وهي صلة تتيح للفرد التواصل مع أفراد أمته وتوقظ ضميره وتحفزه، فيسعى جاهدا للرفع من قيمتها وشأنها في العالم.

عند البحث عن سؤال الهوية نكون بصدد البحث عن "الإطار والمحتوى الذي نسعى إليه، وأن مفهوم الهوية متغير متداخل لأنه مفهوم حضاري له بعد تاريخي، فالقضية الحقيقية هي كيفية الولاء لهوية قومية معينة في إطار مشروع حضاري عصري يحرك الجماهير وليست القضية هي البحث عن الهوية في الماضي وعن حلول المشاكل الحاضر في إطار الماضي"[3]، أي إن الهوية تتغير مع مرور الوقت وتحدث فيها تعديلات تثبّت ما هو ثابت فيها فلا يتغير، وتصقل وتمحص

[1]–حسن حنفي حسنين، **الهوية**، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2012، ص. 23

[2]–م ن، ص. 17

[3]– رزيق برهان، **الهوية العربية**، ط1، دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2012، ص. 68

لتستغني عما هو فاسد ومترسب بين ثنايا المجتمع، لتصل إلى ما هو أفضل ويخدم الأفراد الجماعات في إطار القيم المشتركة وتحديات العصر

ج-أنواع الهوية

تنقسم الهوية في ذاتها إلى ثلاثة مستويات وهي كالآتي: الهوية الفردية، الهوية الجمعية، والهوية الوطنية أو القومية، وتجمع بين هذه الأنواع علاقة متينة إذ نجدها "تتحد أساسها حسب نوع (الآخر)الذي تواجهه، فإذا كان هذا الآخر داخليا فالهوية الفردية تفرض نفسك (أنا) وإذا كان هذا الآخر يقع في دائرة الأمة فالهوية الوطنية والقومية تفرض نفسها محل (الأنا) وإذا كان هذا الأخر يقع خارجها، فالهوية الجمعية تملأ مكان (الأنا) وهكذا تتحرك الهوية على دوائر متداخلة ذات مركز واحد"[1]، وسنتعرف عليها أكثر فيما يلي:

1) الهوية الشخصية (الفردية)

تكون مرتبطة بذاتية فرد واحد وليس بجماعة، فتبين مميزاته واختلافه عن غيره، من خلال تجاربه الخاصة المختلفة عن الآخر، حيث "يرسمها الفرد عن ذاته انطلاقا من خبراته وتجاربه، فهي انعكاس صريح لخلفية تربوية وبيئية محيطة استقبلها الفرد وتبناها ثم أضفى عليها سمة يريد هو أن يظهر بها تعكس رؤيته ويكون فيها مخالفا لغيره"[2]، تبرز مقارنة بأفراد آخرين، فتحدده وتنسَب إليه وتصبح ملكا له وحده. ومن بين ما يعطي حق الانفراد للفرد بطاقة التعريف الوطنية.

والهوية الفردية" ليست بهوية جامدة إستاتيكية أو فاقدة للحركة، ولا هي بالموروثة أو القائمة. كما أنها ليست مبنية بشكل خط يوفق منطق اجتماعي محدد مسبقا. . . هي عبارة عن سيرورة وبناء عملياتي مستمر ومتواصل. . . تستلف وتستمد من الآخرين ولكن في نفس الوقت تنفصل

---

[1]- مولاي أحمد، **ملامح الهوية في السنيما الجزائرية**، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، إشراف: أ. د. بن ذهبية بن نكاع، جامعة وهران، الجزائر، 2013/2012 ص. 71

[2]-غالية غضبان ، **أثر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية لدى الطلبة الجامعيين الجزائريين في ظل العولمة الإعلامية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: أ. د. صحراوي مقلاتي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2018/2017، ص. 113

وتتميز عنهم"[1]، فالبرغم من التعايش والعلاقة الهوياتية إلا أن كل واحد يتميز عن أخيه ولو باختلاف بسيط.

2) الهوية الجمعية (الجماعية)

هي عكس الأولى، تتبناها مجموعة من الأفراد يجمعون على جملة من المواصفات والمبادئ والقيم تميزهم عن مجموعة غيرهم، فنجد من بين الاختلاف اللباس، واللهجة، والعادات والتقاليد، إلخ. والإنسان بطبعه اجتماعي متعايش مع محيطه وبيئته، يكبر بين أحضانها ويستمد وجوده منها، "وبذلك تحافظ التنشئة الاجتماعية على كيان المجتمع وتماسكه، من خلال تحقيقها لأهدافها في تكوين الشخصية الاجتماعية للفرد ليكون منسجما ومنتميا إلى مجتمعه وقادرا على المشاركة الإيجابية في الإنتاج المجتمعي، فالانتماء يوجه الإحساس بالهوية المشتركة، ويشكل وعي الفرد بانتسابه إلى جماعة ما لغة وتاريخا وقيما وسلوكا والمحافظة على الهوية والخصوصية الثقافية للمجتمع"[2]، فالجماعة مرتبطة بتفكير الفرد وقدرته على التنافس مع الآخرين ضمن هوية مجتمعه ليبينها، ويعمل على المحافظة عليها والإعلاء من شأنها، كما يفعل القبائلي والجزائري والوهراني، وغيرهم.

3) الهوية القومية (الوطنية)

يقول العلامة عبد الحميد بن باديس بخصوصها: "الهوية الوطنية مجموعة من الأفكار المبنية حول مفهوم الأمة المتعددة الجوانب وحول الروابط التي يرتبط بها الأفراد والجماعات أنفسهم داخل المجموعة وتحتوي الهوية الوطنية على مكونات ثابتة وهي البيئة والبشر والتاريخ والسيادة والدين واللغة والمصير المشترك"[3]. فهي إذن مجموع الهويات الجماعية والفردية التي تعايشت

---

[1]–رشيد حمدوش، **بناء الهوية عند الشباب الجزائري أو ميلاد الهويات الصاعدة**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 11، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، جوان 2013، ص. 109

[2]–فريال حمود، **مستويات تشكل الهوية الاجتماعية وعلاقتها بالمجلات الأساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي من الجنسين**، مجلة جامعة دمشق، ع1، جامعة دمشق، دمشق، 2011، ص. 555

[3]– الصالح بوعزة، **بعد الهوية والمواطنة في المقاربة التربوية الباديسية–نظرة تحليلية**، مجلة تنمية الموارد البشرية، ع11، وحدة البحث تنمية الموارد البشرية، جامعة محمد لمين دباغين–سطيف2، الجزائر، ديسمبر2015، ص. 509

وتوافقت بعدما تقاسمت نفس الدين ونفس اللغة والتاريخ والبيئة التي تقوم عليها المجتمعات، ويضيف ابن باديس قائلا: "هي وعاء الضمير الجمعي ومحتوى لهذا الضمير في نفس الأنا، بما يشمله من قيم وعادات ومقومات تكيف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانه الإنساني"[1]، إذ تعد عامل قوة لكل أمة إن غابت وهن الوطن برمته، كذلك هو حال البلدان التي تعرضت للاستعمار، كالجزائر التي ناضلت من أجل استعادة هوية سعى الآخر الفرنسي لطمس معالمها.

د- الهوية الجزائرية ومقوماتها

يكون هدف كل مستعمر عند دخوله لوطن ما، تفكيك روابطه وزعزعة كيانه والاستفادة من تنوعاته وخيراته المختلفة، فلا وجود لسبيل آخر يقوم عليه غير هدم المجتمع وتشريد أبنائه، وافتعال الجرائم، وهذا ما شهدته الجزائر في فترة دامت لأكثر من قرن تناضل فيها وتناشد من يساندها في محنتها، في ظل هجوم عسكري عنيف عليها، ودخول سلطات فرنسية أجنبية فرضت قوتها وتجبرها وحطت من قيم مجتمع مدني بسيط، سعت لنشر وتعميم قوانينها وفرض مكانتها وجعل الجزائر خاضعة، ومنع أبنائها من التمتع بحقوقهم السياسية الاقتصادية والاجتماعية، وحقوقهم الدينية واللغوية بدرجة خاصة؛ وعملت على زرع العنصرية والجهوية والفتنة، وعمدت إلى تحطيم الثوابت الوطنية وحرمان المجتمع الجزائري منها، وغرس سياسة استيطانية جديدة، لكن الشعب بيد واحدة وتخطيط وحزم وعزم استطاع رفع الراية الجزائرية في آخر المطاف واستعادة حرية بلده ومقوماته.

عرفت الهوية حضورا بارزا في الأدب الروائي الجزائري، وهذا يظهر من خلال كتابات الروائيين الذين عبروا بكل صدق عن الواقع الصادم لمجتمعهم، حيث عكست "النصوص الأولى مثل رواية (شكري خوجة) (Mamoun ou l'ébauche d'un Idéal)الوعي المبكر للروائي الجزائري بقضية الهوية، الذي اختزلها في إحساس الجزائري بضياع معالم هويته أمام رفض المجتمع الفرنسي في الجزائر الاعتراف به. . . ومع ذلك أدرك أن مشكلته الحقيقية هي في عدم

[1]–م. ن، ص ن

اعتراف الآخر الفرنسي به"[1]، فبالرغم من بعض المحاولات التي قامت بها فرنسا لإخضاع الجزائري، كالتدريس ومحاولة تجنيسه، إلا أنه فهم أن انتماءه اللغوي والثقافي أساس وجوده وصمود مجتمعه، ظل متمسكا بذاته وهويته في سبيل تحرير بلده من الأسر والاستبداد.

الهوية الوطنية أساس وجود الأمم وتقدمها، لذلك من الضروري إدراك مستوياتها ومكوناتها، باعتبارها الركائز والمبادئ التي تقوم عليها الأمة، إضافة إلى إسهامها الكبير في تحديد معالم الانتماء الفردي والجماعي، حيث" تعبر عن كيان وانتماء الأفراد والجماعات في إطار الدولة، هذه الدولة التي تمثل الكيان السياسي الذي يجمع الأفراد والجماعات، وتشملهم منظومة شاملة ديناميكية متكاملة من الأنساق والأفكار والإيديولوجيات، والمؤسسات"[2]، وهذا ما ينطبق على الجزائر، باعتباره البلد المرتبط بمدونة بحثنا، حيث تعد اللغتان العربية والأمازيغية، والدين الإسلامي، والتاريخ العريق، عناصر هوية أساسية. هذا ما سنتبيّنه فيما يلي:

1) اللغة

تتعدد الأوطان وتتعدد اللغات واللهجات، فلكل أمة لغتها التواصلية التي يتواصل بها الأفراد والجماعات، وتبين انتماءه وهويته، إذ تعد "اللغة وعاء الثقافة لأنها تشتمل على تاريخ الأمة وعلى أدبها من نثر وشعر، وعلى ثرائها الفكري من علوم ومعارف، ولهذا فهي العنصر الأهم من العناصر البنائية لثقافة الأمة، وهي التي تهب الفرد انتماءه الحقيقي إلى مجتمعه القومي، وهي التي تجعل لكل مجتمع كيانه الثقافي والحضاري الذي يميزه عن سائر القوميات"[3]، وتقوم بتوحيد الأفراد وتحافظ على استمراريتهم الثقافية والتاريخية عبر الأجيال.

---

[1]– لونيس بن علي، **الهوية الثقافية من الانغلاق الإيديولوجي إلى الانتفاخ الحواري: قراءة في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" للروائي الجزائري "عمارة لغوص"**، مجلة تمثلات، ع2، مخبر التمثلات الفكرية والثقافية: إبداع – تواصل– نقد، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، جوان 2015، ص. ص. 145– 146

[2]–أحمد وادي، **أبعاد الهوية وعلاقتها بالدولة وعملية بنائها**، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، ع1، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر3، الجزائر، جوان2019، ص. 49

[3]–الخنساء تومي، **الشباب الجزائري**، جامعة محمد خيضر بسكرة– أنموذجا –، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، إشراف: أ. د دبلة عبد العالى، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2017/2016، ص. 180.

ويمكن التمييز بين ثلاثة لغات في المجتمع الجزائري، اثنتان أساسيتان هما اللغة العربية واللغة الأمازيغية، والثالثة ثانوية هي الفرنسية التي تعتمد كلغة أجنبية تدرس في المدارس.

✓ **اللغة العربية:** تعد العربية واحدة من اللغات الأساسية والرسمية في الجزائر، وهي فضلا عن ذلك لغة الدين الإسلامي، وقد "انطلقت عملية التعريب بالجزائر في 5يوليو/تموز 1963 على يد الرئيس أحمد بن بلة والذي رفع شعار "التعريب ضروري ولا اشتراكية بدون تعريب ولا مستقبل لهذا البلد إلا في العروبة"، ثم واصل الرئيس هواري بومدين (1965– 1978) تطبيق السياسات الخاصة بالتعريب إذ وقع مرسوم يوم 26 إبريل/نسيان1968يلزم فيه كل الموظفين الجزائريين بأن يكونوا على معرفة كافية باللغة الوطنية العربية عند توظيفهم، كما أصدرت الدولة قرارا بأن تكون كافة الرسائل الرسمية السياسية والاقتصادية والثقافية، وكذلك الاتصالات والمباحثات باللغة العربية"[1]. فالعربية من أهم الركائز التي تقوم عليها الهوية الجزائرية، وتندرج هذه الركيزة ضمن المواد التي لا تقبل التعديل والتغيير.

استهدف الاستعمار الفرنسي، طيلة قرن وثلاثين سنة، اللغة العربية واعتمد الفرنسية مكانها، حيث صارت "لغة التخاطب هي اللغة الفرنسية واعتبارها لغة التقدم والرقي، فأكبر السياسيين والقادة في الجزائر يعتمدون على اللغة الفرنسية في خطابتهم حتى على مستوى القضايا الداخلية والمسائل الخاصة بالمجتمع الجزائري"[2]، ولكن بعد الاستقلال استرجعت العربية مكانتها وتجلت في نوعين:

الأولى: العربية الفصحى وهي التي يُتعامل بها في الوثائق الرسمية والمناسبات والمحافل الدولية، وكذا اللغة المعتمدة في المدارس والإدارة.

---

[1]–ياسر الغرباوي، الهوية الجزائرية. . . 3. مسارات لمواجهة التحديات القائمة، الموقع: http://www. tanaowa. org/site/اله/ ، تاريخ الانزال:27أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 2020/06/10

[2]–سعاد بن قفة، **أزمة الهوية في الجزائر في ظل التعدد اللغوي (الأسباب –الحلول)** ، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، ع2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، الجزائر، جوان 2017، ص. 74.

الثانية: العامية (الدارجة)، وهي اللغة المتداولة في الحياة اليومية، والأكثر انتشارا بين الأفراد على النطاق الوطني، وهي "خليط بين الفصحى والفرنسية وبعض ترسبات الثقافة التركيبة وحتى ثقافة الوافدين إلى شمال إفريقيا"[1]، لكن لا يعترف بها في الدستور الجزائري وإنما تستعمل في حياة الفرد الدائمة.

✓ **اللغة الأمازيغية**

تعد الأمازيغية اللغة الأصلية للمغرب الكبير ولغة الأجداد التي تناقلها الأجيال وامتدت لآلاف السنين، وهي "أصل السكان الأوائل في مناطق شمال إفريقيا ومنها الجزائر. تشير كلمة "أمازيغ" إلى الاسم الذي يسمي به البربر أنفسهم ومؤنث أمازيغ هو "ثمازيغث"، يطلق على المرأة وعلى اللغة كذلك، وهو المصطلح الرسمي الذي أقره المؤسس الدستوري في الجزائر"[2]، فالجذور العريقة لهذا المصطلح تدعو إلى ضرورة الاعتراف به، خاصة في الجزائر، إلا أن هذا لم يحدث في وقته بل لقي صدا ورفضا مما أدى إلى ظهور صدامات سياسية موضوعها وسببها الهوية اللغوية.

تتعدد لهجات "تمازيغت" وتتوزع بشكل متفاوت تبعا للقبائل المنتشرة جغرافيا في شمال إفريقيا[3]، ويتجلى هذا التعدد في الجزائر عبر مختلف ولاياتها، سواء في الشمال أو الجنوب، أو الشرق أو الغرب، ومن خلال عادات وتقاليد متفاوتة من منطقة إلى أخرى. وتعد اللهجة القبائلية الأكثر استعمالا على النطاق الوطني نظرا لعدد السكان الناطقين بها وانتشارها المكثف جغرافيا، وعموما تشمل الأمازيغية لهجات عديدة هي "القبائلية والشناوية بالوسط الجزائري، اللهجة الزناتية بالجنوب الغربي للجزائر، واللهجة الميزابية والتارقية بالجنوب الجزائري"[4]. وقد عرفت الأمازيغية،

---

[1]– م ن، ص. 72.

[2]– محمد أمين أوكيل، **الهوية الأمازيغية ومسألة بناء الدولة الوطنية في الجزائر. مقاربة قانونية**، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، ع 04، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة عبد الرحمان ميرا، بجاية، الجزائر، جانفي2019، ص. 338.

[3]–ينظر: إبراهيم الهواري، **كل ما تريد معرفته حول اللغة الأمازيغية ومشكلاتها في الجزائر**، الموقع: https://www. sasapost. com/tamazight/، تاريخ الانزال: 18فيفري2016، تاريخ الزيارة : 2020/06/10

[4]– م ن.

كما أسلفنا القول، التهميش وعدم القبول في دوائر الحكم والأوساط السياسية مما أدى لقيام الكثير من المظاهرات والاحتجاجات للاعتراف بها، باعتبارها اللغة الأم الأولى والأصلية، فنجد الربيع الأمازيغي في مدينة تيزي وزو في 20أفريل 1980 الذي سقط في إثره عدة ضحايا، وكان هذا الحدث التاريخي يوصف بأنه كان "تعبيرا عن التصادم بين شريحة واسعة من الشعب الجزائري في منطقة القبائل والدولة التي تتهم بكونها تنكرت للأصول التاريخية للبلاد، وأقصت الأمازيغ بأن أصرت على برامج التعريب وعلى عدم ترسيم اللغة الأمازيغية لغة وطنية ورسمية"[1]. وأصبحت الأمازيغية، بعد نضال طويل، لغة رسمية في البلاد وأعيد إليها اعتبارها وعُدت مقوما من المقومات الأساسية للهوية الوطنية الجزائرية، فحصلت تدريجيا على "الموافقة على إنشاء معهد اللغة الأمازيغية سنة 1990إلى الموافقة على تعلم الأمازيغية في المدرسة وإنشاء المحافظة السامية للأمازيغية عام 1995 إلى الاعتراف بها لغة وطنية سنة 2002، ثم لغة رسمية سنة 2016"[2]، وهذا الاعتراف يدل على نجاعة النضال السياسي المتبع من أجل استرداد حق جوهري من الحقوق الأساسية، وعلى وعي الشعب وتمسكه بهويته وأصله الذي لم يقبل أن يساوَم فيه أو يظل موضع إنكار ورفض.

تُعد الفرنسية، إضافة إلى الأمازيغية والعربية، إرثا لغويا خلّفه الاستعمار، فبعد استقلال الجزائر أصبحت هذه اللغة الدخيلة لغة أجنبية تدرس في المدارس والجامعات، ولا يزال هناك فئة معتبرة من الناس يستعملونها في حياتهم اليومية ولا تزال الإدارة توظفها في ميادين عديدة. وهناك، في وقتنا الحالي، مساعي لدمج اللغة الإنجليزية في المنظومة التعليمية الجزائرية.

2) الدين الإسلامي

من الفطر التي تلد مع الإنسان، التدين الذي يعتبر رفيق دربه من النشأة حتى الفناء، إذ يصبح عقيدة له ويحدد انتماءه وسلوكه والقيم التي يبنى عليها حياته. وقد اختلفت العقائد والديانات

---

[1]–محمد أمين أوكيل، م س، ص. 341

[2]–على موزاوي، **مسألة الهوية الوطنية في الجزائر من التلاحم الشعبي إلى التوظيف الإيديولوجي ثم التوجه نحو التعايش الوطني**، الموقع:https://m. ahewar. org/s. asp?aid=585959&r=0، تاريخ الانزال:2018/01/14، تاريخ الزيارة: 2020/06/10

مع العصور، فنجد الهندوسية، والمسيحية واليهودية، اعتنقها الإنسان القديم، إلا أن جاء الإسلام الذي ارتضاه الله للبشرية جمعاء كآخر دين له وختم به رسائله السماوية.

اعتنق الشعب الجزائري الإسلام وآمن به وصدقه وعمل على تطبيق تعليماته، حيث أصبح من مقومات الدولة "الإسلام دين ودولة، هو الدين الرسمي للبلاد"[1]، لذا كان من الأمور المستهدفة من طرف الاحتلال الفرنسي حتى يزيحه عن طريقه ويزعزع كيان الجزائريين، فعمد إلى تنفيذ سياسة التنصير وتجريد المجتمع من هويته الإسلامية، ونشر المسيحية وإدماج أكبر عدد ممكن من السكان، مستهدفين في ذلك فئة المشردين والأطفال الصغار الذين لا يمكنهم الدفاع عن أنفسهم، واتبع في ذلك سياسة الكاردينال "لافيجري"(Lavigerie) الذي يقول" علينا أن نخلص هذا الشعب ونحرره من قرآنه، وعلينا أن نعنى على الأقل بالأطفال لننشئهم على مبادئ غير التي شب عليها أجدادهم، فإن واجب فرنسا هو تعليمهم الإنجيل، أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر"[2]. فأدرك المستعمر أن الدين يسهم فيخلق الروح القومية من الصغر فقرر تخذير عقول الصغار خوفا من قوة جديدة تخلق.

كما أخلا المستعمر الزوايا وحوّل المساجد إلى كنائس، لكن مع هذا فإن الهوية الوطنية الإسلامية جعلت من أبناء الجزائر شعبا موحدا ثائرا ضد عدو الوطن المشترك، إذ أصبح "المجتمع الجزائري لحمة واحدة، مسلما، متماسكا بفضل هذا الدين الحنيف الذي أزال الفرقة بين العربي والأعجمي"[3]، وتبين للجزائريين- أكثر من أي وقت مضى- أن أساس كل مجتمع دينه الذي ينير طريقه ويحدد مصيره ومستقبله.

---

[1]-حسن حنفي حسنين، م س ، ص. 68

[2]-الشيخ كاظم الصالحي، **الاستعمار الثقافي الفرنسي. . . الجزائر نموذجا**، https://www. iicss. iq/?id=40&sid=217، تاريخ الانزال:2018/08/23، تاريخ الزيارة: 2020/07/05

[3]-حسني هانية، **السياسة اللغوية في المجتمع الجزائري. دراسة تحليلية نقدية للنظام التربوي الجزائري**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، إشراف: عمر أو ذينية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2017/2016، ص. 84

3) التاريخ

الجزائر بلد عريق له انتماءاته وله تاريخه الذي يحدد شخصيته، وللتاريخ في الوطن الجزائري ارتباط وثيق "بالحركة الوطنية في تطوراتها بين السنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى وسنوات حرب التحرير (1954-1962) كما ترتبط بالممارسات المؤسساتية للدولة الوطنية التي برزت مع الاستقلال"[1]. فالإرث التاريخي للجزائر هو الذي يبيّن هوية أبنائه ومن يكونون، لذلك فهو عنصر جوهري، لا يمكن الاستغناء عنه أو إنكاره، فيجب معرفة التاريخ وإدراكه وتثمينه، ويجب تعلميه للأجيال الجديدة، بمعنى تناقله من جيل لجيل لكي لا يخمد، فهو "السجل الثابت لماضي الأمة وديوان مفاخرها وذكرياتها، وهو الذي يميز الجماعات البشرية بعضها عن بعض، فكل الذين يشتركون في ماض واحد يعتزون ويفخرون بمآثره يكونون أبناء أمة واحدة"[2]، فهو مبدئيا مركز بناء الهوية، ولن نجانب الصواب إن قلنا إن الهوية تساوي التاريخ.

وقد ألمّت بالشعب الجزائري أحداث تاريخية كثيرة ومتنوعة، فظل أبناؤه متحدين متضامنين مواجهين المحن والمآسي بروح جماعية ووعي ناضج، وحاربوا-منذ مئات السنين-لأجل الحفاظ على وجودهم التاريخي والحضاري، حيث "يشكل تاريخ الجماعة منطلقا لتحديد هويتها، إذ تتجذر هوية الجماعة في تاريخها"[3]، فمن أراد معرفة بلده عليه العودة لجذوره ودراسة تاريخه، فالمستقبل ينبني على الخلفية التاريخية والأمة وليدة التاريخ.

ومن أهم المراحل التاريخية التي مر بها المجتمع الجزائري تلك الممتدة "من العهد النوميدي إلى الفتح الإسلامي وظهور الدولة الوطنية الأولى ألا وهي الدولة الرستمية ومن بعدها الحمادية، والزيانية ودخول الجزائر في عهود جديدة تحت قيادة العثمانيين، وبدايات ظهور الوعي الوطني في الحقبة الاستعمارية الفرنسية وتأسيس الدولة الجزائرية الحديثة في عهد الأمير عبد القادر وتحرر

---

[1]-حسن رمعون، **التاريخ الوطني والممارسات السياسية والانتمائية (الهوياتية)**، الموقع: https://journals. openedition. org/insaniyat/11572، تاريخ اعادة الإنزال2013/05/20، تاريخ الزيارة : 2020/07/07

[2]-سليمة فيلالي، **بنية الهوية الجزائرية في ظل العولمة (دراسة على عينة من الطلبة الجامعيين بجامعة باتنة)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، إشراف: أ. د بلقاسم سلاطنية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2014/2013، ص. 45

[3]-أليكس ميكسيللي، م س، ص. 23.

الجزائريين من خلال الحفاظ على مقومات الهوية–الإسلام–اللغة العربية، والبعد الأمازيغي– وخوض حرب تحريرية من أعتى الحروب أرّخت لهوية جديدة كتبت بدماء الشهداء الأبرار"[1]، ويلخص هذا القول الخاص بأليكس ميكسيللي عناصر الهوية الجزائرية التي أسهم التاريخ في ترسيخها وجعلها أسس وجود الجزائري وحضوره الثقافي عبر الزمن.

4) الهوية الثقافية

الهوية الثقافية عبارة عن "مجموعة من الملامح والأشكال الثقافية الأساسية الثابتة، إضافة لهذا فهي تعني التناسق بين العقل والهوية عن طريق نبذ التعصب والتطرف العرقي والطائفي، . . . مركب متجانس من التصورات والذكريات والرموز والقيم والإبداعات والتعبيرات والتطلعات لشخص ما أو مجموعة ما، . . . هي المعبر الأساسي عن الخصوصية التاريخية لمجموعة ما أو أمة ما، . . . إذا فإن الهوية الثقافية عبارة عن عدد التراكمات الثقافية والمعرفية، سواء كانت تلك المعارف تأتي انطلاقا من تقاليد وعادات. . . أو انطلاقا من الدين"[2]، لذا تعتبر جزءا لا يتجزأ من الهوية كونها من أساسيات المجتمع والأمة، تبين خصوصياتها، تتأثر وتؤثر في الثقافات الأخرى كلما التقت بها وتصادمت معها، وهي في تطور واستمرارية دائمة، وهذا ما نجده في المجتمعات العربية كذلك، وخاصة المجتمع الجزائري، فيمكن القول إنه "عرف ويعرف حركية وديناميكية ثقافية كبيرة وهذا بفعل تعدد وتعاقب مختلف الثقافات خلال مساره التاريخي وذلك بفعل احتكاكه بها وبمختلف الحضارات التي مرت به (سواء الرومانية، القرطاجية ، العثمانية، العربية أو الأوروبية)"[3]، فثقافة كل مجتمع تعود لخصوصياته التاريخية والحضارية وتنتقل بين الأجيال ويمكن تطويرها حسب تطور العصور حفاظا على الأصل.

---

[1]–ناصر بودبزة، الشاذلي شوقي، **مقومات الشخصية وتشكل الهوية الوطنية الجزائرية من خلال مكتسبات التلاميذ (دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ ولايات ورقلة)**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع5، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، فيفري 2011، ص. 131

[2]–غادة الحلايقة، **مفهوم الهوية الثقافية**، الموقع:https://mawdoo3. com/، تاريخ الانزال:13فبراير 2018، تاريخ الزيارة: 2020/06/20

[3]– رشيد حمدوش، م س، ص. 97

تعيش داخل مجتمع واحد عدة ثقافات بسبب تنوع اللغات، فأن يكون لكل جماعة لغتها معناه أن يكون لها ثقافتها، وكذلك هو مجتمع الجزائر حيث "يعيش داخل فسيفساء من التعدد الثقافي فهو مجتمع عربي إسلامي أمازيغي، متوسطي، إفريقي عالمي يجمع بين المعربين والمفرنسيين، يجمع بين الشاوية والقبائلية والمزابية والتارغية، غير أنه رغم هذا التعدد الثقافي فإنها تحيى داخل مجتمع واحد وموحد متضامن ومتماسك تحت لواء العروبة والإسلام والأصل الأمازيغي"[1]، فهو مجتمع واحد متماسك، له عاداته وتقاليده التي يزخر بها، وله أعياده الدينية (عيد الأضحى، الفطر، عيد المولد النبوي . . .)، والوطنية (تاريخ اندلاع الثورة، وتاريخ الاستقلال، . . .)، وهذه أعياد ثابتة راسخة، ولكن الاختلاف يكمن في طريقة الاحتفال بها من منطقة لأخرى، إضافة إلى التقليد في اللباس، أو الطبخ، وحفلات الزواج، التي تختلف من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، وكل تنوع يضيف للمجتمع بهاءه بين المجتمعات الأخرى، إذا "الثقافة هي روح الأمة وعنوان هويتها، وهي من الركائز الأساسية في بناء الأمم وفي نهوضها فلكل أمة ثقافة تستمد منها عناصرها ومقوماتها وخصائصها، وتصطبغ بصبغتها، فتنسب إليها"[2]، فهي سجل الأمة الحضاري والإنساني وعامل تميزها وفخرها.

من المهم الإقرار بأهمية مقومات الثقافة في تنشئة الروح الوطنية الجزائرية وتنميتها، ولا بأسمن تعداد أهم الوظائف التي اضطلعت بها تلك المقومات، لاسيما في فترة المحنة التاريخية:

- "ضمان الاستمرارية التاريخية للأمة والمجتمع الجزائري.
- تحقيق درجة عالية من التجانس والانسجام بين السكان في مختلف جهات الوطن الواحد والتعايش والإثراء المتبادل بين ثقافاتهم الفرعية.

---

[1]–رحيمة شرقي، **الهوية الثقافية الجزائرية وتحديات العولمة**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 11، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، جوان 2013، ص: 194

[2]– عبد العزيز بن عثمان التويجري، **الحفاظ على الهوية والثقافة الإسلامية في إطار الرواية المتكاملة**، الموقع: https://www. google. com/url?sa=t&source=web&rct=j&url=http://www. alhiwartoday. net/node/11655&ved=2ahUKEwivg-jZ0cbtAhWTsnEKHXRaCSUQFjABegQIARAB&usg=AOvVaw0qVfNgT5Df394fBXVjygPS&cshid=1607714891191، تاريخ الانزال:2017/03/16، تاريخالزيارة:2020/06/2

- الحفاظ على الكيان المتميز للمجتمع الجزائري خاصة أثناء فاجعة الاستعمار.
- أنها مثلت أساسا للوحدة الوطنية خاصة خلال الحرب التحريرية.
- أنها تمثل عاملا ايجابيا في بناء المجتمع الجزائري. "[1]

تُظهر هذه الوظائف في مجموعها مدى إسهام المقومات الثقافية في الحفاظ على الوحدة الجماعية، وعلى الوجود السياسي والثقافي في الجزائر، خاصة فيما له صلة بالانتماء الهوياتي (الإسلامي–الأمازيغي–العربي)الذي يتحدد به الانتماء التاريخي والحضاري.

المبحث الثاني: المحظور في الرواية الجزائرية

1– المحظور

أ–لغة

جاء في قاموس المحيط: "حَظَرَ الشيء، و–عليه: منعه، وحَجَرَ، وَاتَّخَذَ حَظِيرَةً، كاحْتَظَرَ: و–المالَ: حَبَسَهُ فيها، و–الشيء: حازه، . . . وزمن التحظير: إشارة إلى ما فعل عُمَرُ من قِسْمَةِ وادِي القُرى بين المسلمين وبين بني عُذْرَةَ، وذلك بعد إجلاء اليهود. . . واَلْمَحْظُورُ: المُحَرَم. «وما كان عطاء ربك محظوراً»«الإسراء:20»أي:مقصورًا على طائِفَةٍ دُونَ أُخْرَى"[2]. والمحظور هو كل شيء محرم ومنع تداوله ويختلف من طائفة لأخرى. ويتبين من خلال القول أن ما أعطاه الله لم يكن ممنوعا ولكنه محرم.

---

[1]–سمير أبيش، **مقومات الشخصية الوطنية والمشروع التربوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(1931_1956)**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل م د) في علم الاجتماع، إشراف: أ. د. نورالدين زمام، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015/2014، ص. ص: 113– 114

[2]– مجد الدين الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مراجعة: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث. طبع، نشر، توزيع، القاهرة، 2008، ص. 378

وورد في "المعجم الصافي" التعريف الآتي: "فالحظر: الحجر، وهو خلاف الإباحة "[1]، وجاء في معجم الرائد "لجبران مسعود" ما يلي: "حَظَرَ يَحْظُرُ: حظْرًا وحظَارًا . . الشيء، أو الشيء عليه: منعه، حرّمه. –اتّخذ حظيرة. –الماشية: حبسها في الحظيرة" [2]. أي إن المحظور هو كل ما حرم ومنع الخوض فيه، ووجب التخلي عن كل مقموع لأنه يوقع صاحبه في التعرض للمتاعب والعقاب، والعكس صحيح. ونلاحظ أن هذه التعريفات لم تنفصل عن النطاق الديني وإنما اقترنت به وتأسست عليه.

ب–اصطلاحا

استعار الأدب مفهوم المحظور ومصطلحه من الدين الذي كان يسيِّر ما هو محرم في الإسلام وما يُمنع تجاوزه، وهو في الاصطلاح "المحرم؛ وهو ما يثاب على تركه اِمْتِثَالا ويعاقب على فعله"[3]. ونظرا لارتباطه بالجنس والاجتماع، أخذه المجال الأدبي للاستفادة منه، فأخذ بذلك دلالته الأصلية ليدل على جملة المحظورات الأخلاقية والدينية والسياسية التي يتناولها الأدباء في مؤلفاتهم تحت عنوان الثالوث المحرم، أو المسكوت عنه، أو المقموع، أو المهمش، وهي المسائل التي غُض عنها النظر والتي لم يسبق التطرق إليها بصفة جريئة.

2– أنواع المحظور

أ– المحظور السياسي

يخدم مصطلح المحظور علم السياسة، وهي من بين المحظورات المتناقلة بين أدباء العصر الحديث، حيث يدخل الأديب في شرك هذا الممنوع نظرا لطريقة تناول الموضوع، "فإذا تناولنا السياسة في بلد ما، بطريقة واعية، وبهدف تنوير الشعب، وكشف فضائح النظام، وسلبياته،

---

[1]– صالح العلي الصالح، أمينة الشيخ سليمان الأحمد، **المعجم الصافي في اللغة العربية**، ط1، مطابع الشرق الأوسط، الرياض، 1980، ص. 125

[2]– جبران مسعود، م س، ص. 309

[3]–جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي، **شرح الورقات في أصول الفقه**، تحقيق: حسام الدين بن موسى عفانة، ط1، جامعة القدس، المكان، 1999، ص. 74

من أجل التغيير نحو الأفضل، ومن أجل ألا يبقى الشعب –و بالتالي الأديب الذي هو فرد من هذا الشعب –في متاهة، فهذا يعني أن الأدب قد أدى وظيفته، ولا غبار عليه؛ أما إذا كان الهدف هو نشر سياسة ما، أو محاولة إقناع جمهور القراء بقبول نظام معين، بمعنى أن الأدب تحول إلى وسيلة إشهار، ودعاية، أو جزء من حملة انتخابية، فهذا هو المرفوض قطعا"[1]؛ ويمكننا إسقاط هذه الظاهرة على المجتمع الجزائري والسياسة المتبعة حاليا والمرحلة الانتقالية التي تشهدها البلاد، فإذا تم التركيز على الحركة الديمقراطية التي يعيشها الإنسان الجزائري تحت شعار "الجزائر حرة ديمقراطية"، وفي ظل الحراك الشعبي، عندئذ يكون الأديب الذي يكتب عن هذه المرحلة الحساسة قد دخل في مجال المحظور السياسي وتحلى بالجرأة الكافية التي تدفعه إلى كتابة الواقع كما هو، بهوامشه وجراحه وتناقضاته.

ب- المحظور الجنسي

يرتبط الأمر هاهنا أيضا بطريقة تشغيل الفكر (الكتابة)، فالجنس من الأمور التي تجنب الكثير من الأدباء الخوض فيها، ويمكن النظر إلى المسألة من جانبين، "فإذا كان بطريقة واعية، وبلغة راقية، ويهدف مثلا إلى نشر ثقافة جنسية، أو معالجة آفات اجتماعية، سببها هذا الأخير، فلا ضير في ذلك، لكن أن يكون الهدف من ذلك، هو الحديث عن الجنس من أجل الجنس، بلغة مبتذلة، وأسلوب منفر، وبلا غاية نافعة، فهذه مادة إباحية، وليس أدبا؛ إذ لا يجوز لها أن ترقى إلى مصاف الأدب"[2]، وهذا ما نراه عند فئة من الكتاب الذين جعلوا من موضوع الجنس سلعة للنشر وللترويج ليس أكثر خاصة ما تعلق بالعلاقة الحميمية بين الرجل والمرأة.

ويعتبر "الجنس حال من المسكوت عنه حتى عند بعض قوى نضالية خاضت المعارك البطولية في إطار التحرر الوطني وتراها تعاملت معه على أنه منطقة محرمة التناول و/أو الحديث

[1]–مليكة صياد، **المحظور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة. أمين الزاوي وآسيا جبار أنموذجا**، أطروحة تدخل ضمن متطلبات شهادة الدكتوراه ل م د، إشراف: د. ناوي كريمة، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، 2019/2018، ص. 14

[2]–مليكة صياد، م س، ص. ص. 14– 15

فيها، بسياقات تعكس طابع المجتمعات وتفكيرها والمنطق الذي يحكمها"[1]، وهذا يدل على أن الجنس يصطدم دائما مع الدين أو العادات والتقاليد ويرتبط بالمعتقدات.

ج- المحظور الديني

يُعد المحظور الدين يمن أكثر المحظورات تناولا في الأدب على الصعيد العربي عامة، والجزائري خاصة، فكل ما هو محرم دينيا محظور، حيث يعتبر الدين الوسيلة الوحيدة التي تصل بين الإنسان وربه تبناها مجموعة من رجال الدين والفقهاء، الذين قاموا باحتكار الأحكام (التفسير، التأويل، الفتوى. . .)، مما أدى لظهور المحظور الديني، حيث يعاقب كل إنسان يحاول تحريفه أو تقويل مالا يوجد في كتابه ويلقب بالكافر[2]، فكل واحد يرغب في الخوض في مجال الدين عليه أن يكون على دراية وثيقة بتعاليمه، وما فيه من أحكام، وعدم الخروج عنها، كيلا يقع فيمالا يرغب فيه (المحظور)، لكن الأدب من حيث الماهية يرتبط بفكرة الخرق وتمثيل أشياء الحياة بتناقضاتها، سيئها وحسنها، مقدسها ومدسنها.

ترتبط هذه المحظورات أو التابوهات الثلاثة (السياسة، الجنس، الدين) ارتباطا وثيقا، إذ يكمل كل واحد منها الآخر، فمحاولة التطرق إلى هذه القضايا الحساسة المتصلة بحياة الإنسان تؤدي إلى كتابة المحظور، "فالدين مهم، والسياسة تشكل خطرا يهدد الدين أحيانا، والجنس سر بقاء البشرية فكل يتمم الآخر، ويتكئ عليه ليطيل من صموده"[3]، فهي إذا أمور متداخلة يصعب الفك بينها، وهي من أصعب المواضيع التي يمكن الكتابة عنها. وعلى الرغم من الضغوطات والتخوفات في الوقوع في المحظور إلا أنه ثمة أسماء ظهرت في هذا المجال في الأدب العربي أمثال: محمد شكري (الخبز الحافي)، وإبراهيم

---

[1]- **تيسير عبد الجبار الآلوسي، المحظور في الأدب بين ممارسات التنوير والظلام**، الموقع https://www. google. com/url?sa=t&source=web&rct=j&url=http://elsada. net/99883/&ved=2ahUKEwi-z8WnzsbtAhVSoXEKHYBwCVQQFjAAegQIARAB&usg=AOvVaw2ucKsI92h9jEk3BOsWfjUB، تاريخ الانزال:2019/02/02، تاريخ الزيارة:2020/07/20

[2]-ينظر: سوسن إبرادشة، **المحكي الممنوع في رواية فضيلة الفاروق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: د. فتحية كحلوش**، جامعة سطيف2، الجزائر، 2014/2013، ص. ص. 29- 30

[3]-رنا عبد الحميد سلمان الضمور، **الرقيب وآليات التعبير في الرواية النسوية العربية، رسالة دكتوراه في الدراسات الأدبية**، إشراف: أ. د. سامح الرواشدة، جامعة مؤتتة، الأردن، 2009، ص. 57

محمود (المتعة المحظورة)، وفاطمة فهد (أنثاه)، وأما على الساحة الأدبية الجزائرية فنجد: واسيني الأعرج (فاجعة الليل السابعة بعد الألف)، رشيد بوجدرة (تيميمون)، وأمين الزاوي (رواية الرعشة)[1]، وغيرهم. وهي نماذج لأدباء وأعمال استطاعت تمثيل المحظور بجرأة أدبية وأن تتخطى الرقابة والمنع.

من أهم المواضيع التي يقصدها الروائيون نجد قضية المرأة وجسدها، سواء في الدين أو الجنس وحتى السياسة، أي إنها تدخل ضمن التابوهات الثلاثة، فقد اعتبرت وسيلة لإشباع رغبات الرجل الذي ينظر إليها من حيث مكوناتها الخارجية فحسب، ويهمل مشاعرها، فيراها النفزاوي "جسدا خلوا من العقل والبصيرة وبكونه كائنا محكوما بالشهوة وخاضعا لشروط الشبق ومتجردا تجردا تاما من قيمة أخرى. لا قيم الدين ولا قيم العائلة ولا قيم العقل"[2]. وقد واجهت المرأة عدة مشاكل في حياتها، من تحرش، وعنف جسدي أو معنوي، وتهميش اجتماعي بدرجة خاصة، تحت وطأة المجتمع الأبوي أو الذكوري، حيث حسبها مجرد ربة بيت، تربي، تطبخ وتعتني بزوجها.

كما كان للعادات والتقاليد والدين دور في قمع المرأة، حيث حرمت من حقوق التعلم والخروج والعمل، لأن العائلة والمجتمع ينظران إليها وجسدها على أساس الشرف، لذلك توجب عليها الاعتناء به وألا تتصرف فيه بدون إذن، "فالمرأة التي تتصرف بجسدها دون إذن ومباركة الجماعة تلحق الضرر والعار بجسد الجماعة كلها وتصبح من هذا المنطلق الجزء الفاسد الذي يستحق البتر أو العقاب"[3]، فمشكلة المرأة هو جسدها، حيث تصبح وسيلة ترمى عند انتهاء مهامها في إرضاء الرجل.

نظرا لما عاشته المرأة في حياتها المأساوية، وإذا ما عدنا إلى المرأة الجزائرية، بالخصوص، نجدها كسرت التابوهات وجعلت من جسدها نقطة لقوتها وليس لضعفها وذلك بعدما أن تحولت الرغبة في تحرير الجسد من أساسيات الخروج للعالم ورغبة المرأة في تحقيق ذاتها، وهدم العنف والنظرة السيئة إليها، حيث نجدها تشارك في الثورة وعمليات الفداء، مستغلة جسدها الرقيق لتسحر

---

[1]– سوسن إبرادشة، م س، ص. 30

[2]–عبد الله محمد الغذامي، ثقافة الوهم. **مقاربات حول المرأة والجسد واللغة**، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1998، ص. 18

[3]–ميسون العتوم، **جسد المرأة والدلالات الرمزية: دراسة أنتروبولوجية بمدينة عمان**، https://journals. openedition. org/insaniyat/13900، تاريخ الانزال: 2013، تاريخ الزيارة: 20/07/2020

به العسكر، وتنفيذ المخططات، كما نراها تتواجد في الجبال حاملة السلاح، أو كممرضة، فضلا عن دورها في تحضير وجبات المجاهدين ومساعدتهم من كل النواحي، مما جعل النواب الفرنسيين ينبهرون بها، ويطالبون بترقيتها اجتماعيا. يقول الروائي "أوكتاف دوبون" "Octave Depone"في هذا الشأن: "كل جهود التقارب والانصهار يمكنها أن تحدث، ولكنها في خطر الاضمحلال، بل التحطيم أمام أقدام هذه المرأة الحافظة الوفية للبيت العائلي، ولتقاليده، ويمكن القول بأكثر عمومية الحافظة المحافظة على العرق"[1]. فقد أثبتت المرأة الجزائرية مدى إسهامها في المجتمع عامة وأنها ليست وسيلة جسدية، بل أكثر من ذلك، يمكنها منافسة الرجل في أي ميدان، وهذا ما يمكن معاينته في الوقت الراهن.

لقد حققت المرأة المعاصرة كل ما خفي عن المرأة القديمة، وسبب هذا كله تجاوزها العراقيل التي واجهتها في حياتها، فقد وضع الله عز وجل الرجل والمرأة في كفة واحدة ولم يميز بينهما إلا بالعمل الصالح، مصداقا لقوله تعالى: "إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى"(سورة الحجرات، الآية 13). كما أعطى الحق للمرأة في الحفاظ على جسدها، ولم يأبى لها الأسر أو أن تُختزل في العلاقات الحميمية، حيث قال تعالى: "فَانْكَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ" سورة النساء، الآية 3، لكن ذلك يكون في نطاق الدين والحلال، وليس خارجه، وإلا كان ذلك تعديا على أوامر الله تعالى مما يوقع المرء في المحظور وغضب الله عليه وعقابه.

تمكن بعض الأدباء الجزائريين– كما أسلفنا القول– من كسر الطابوهات أو المحظورات التي عرقلت مسير أدبهم، حيث يقول الروائي" أمين الزاوي" عن الذين لم يتجاوزوا هذه النقطة: "من لا يكتب عن الطابوهات والمسكوت عنه ليس روائي "[2]. فالبعض يتخوف من الوقوع في الخطأ عن

---

[1]–ياسين سعادة، المرأة الجزائرية: **بين ما كتبه الفرنسيون الكولونياليون وبعض الجزائريين وما أبرزه الواقع**، الموقع: https://www. google. com/url?sa=t&source=web&rct=j&url=http://www. univ-chlef. dz/eds/wp-content/uploads/2017/11/Article-16-N7. pdf&ved=2ahUKEwjvtKqbzMbtAhVUu3EKHWb6BKIQFjAAegQIARAB&usg=AOvVaw3gMIdJeR2Eskp nm4qYMeh_ تاريخالاتزال 2017/11، تاريخ الزيارة: 2020/07/18

[2]– مولود بنزادي، **الطابوهات والمسكوت عنه في الرواية العربية**، الموقع: https://www. google. com/amp/s/mouloudbenzadi. wordpress. com/2016/04/18/B9/amp/، تاريخ الإنزال:2016/04/18 ، تاريخالزيارة:2020/07/23

غير قصد، فليس من السهل فعل ذلك، إذ هناك من يعالج هذا النوع من المسائل وتخطاها، وهناك من يبتعد عنها خوفا منها. يضيف أمين الزاوي: "رواياتي تنتقد النفاق الديني، عبودية المرأة جنسيا، والسياسة بلا أخلاق، أعتقد أن الكتابة الإبداعية بالأساس، لا سيما الرواية، هي تكسير تقاليد بالية وتكسير تقاليد موضوعات بالية كذلك، وهذه التكسيرات لا تكون إلا في مواجهة الطابو. . . كما أن الكاتب الذي يقرأ التاريخ وملامح المستقبل هو الذي يستطيع أن يواجه هذه الطابوهات القديمة والجديدة"[1]، فالمعرفة الفعلية للممنوعات ومتابعة تغيراتها هي التي تمكن الكاتب من التفتح على مثل هذه الأمور الصعبة، عكس من لا دراية له من الأساس، فليس له تجربة ولا يعلم ماذا يقول، فهذا لن يتمكن من تكسير المحظور.

تقول "فضيلة مرابط" من جهتها: "أحاول دائما كسر أي طابو لا يعكس حقيقة الجزائريين"[2]، فهي تسعى دائما للتعرض للمسكوت عنه والاهتمام بما لم يكتب عنه في الحقيقة الجزائرية، وتحاول رصد ما يشهده الجزائريون في بلادهم وحياتهم بشكل دائم، منتبهة إلى التطورات الحاصلة ومصورة الحقيقة كما هي في الواقع.

ويرى الروائي "الحبيب السائح" من جهته أن "الطابو الحقيقي أن تطال الأخلاق العامة وحرية الآخر، وأنا ليس لي طابوهات معلم عليها ومحددة كما يعتقد البعض وإنما أنا شخصيا أنظر إلى الأمر بوصفه ذا علاقة بالأخلاق العامة وكل ما يمس حرية الآخر . . . بالنسبة لي أعتبرها حدودا لا يمكن تجاوزها"[3]. بمعنى أن كل ما يعيق الحرية الإنسانية هو طابو، ولكي يكسر الكاتب هذا الأخير عليه أن يكون حضاريا، فيقول السائح: "أنا مع كسر الطابو لكن بطريقة حضارية جميلة وأن تصوغ قضية الكسر فنيا"[4]. وبذلك فإن هذا التجاوز يجب أن يجمع بين الحقيقة المسكوت عنها سلفا وبين الخيال الذي يتمتع به الكاتب وإبداعه. فكيفية التوظيف والطريقة الكتابية

---

[1]–القسم الثقافي في الفجر، **ما الذي تبقى من طابوهات الكتابة في الجزائر؟؟**، https://www. djazairess. com/alfadjr/226450 :الموقع، تاريخ الانزال:2012/09/30، تاريخ الزيارة: 2020/07/23

[2]– القسم الثقافي في الفجر، **ما الذي تبقى من طابوهات الكتابة في الجزائر؟**

[3]– م ن

[4]– م ن

المعتمدة في مثل هذه المواضيع الحساسة (الجنس– السياسة–الدين)"هي التي يتخوف منها البعض إذلم تكن طرق المحرمات الاجتماعية والأخلاقية والعقدية والسياسية إشكالا إبداعيا يوما، بل على العكس يصبح عدم التطرق إلى تلك المسكوتات في مجتمع بشري مجبول على الخطايا؛ هو المشكلة القيمية للكتابة"[1]، فيمكن أن يتحول المحظور إلى مشكلة إبداعية إذا ما لم يتم التطرق إليه.

3- الأقليات

أ-لغة

ورد التعريف اللغوي الآتي للأقلية في قاموس "الرائد" لجبران مسعود: "الأقلية(ق ل ل)الطائفة من الناس تجمعهم رابطة اللغة أو الدين أو الجنسية ويعشون مع طائفة أخرى أعظم شأنا وأكثر عددا"[2]. أي إن الأقلية هي مجموعة من الناس يشكلون قلة في بلد ما وسط أكثرية غالبة، وتتميز عنها بدينها ولغتها وعاداتها وتقاليدها.

ب-اصطلاحا

أما اصطلاحا فقد اختلف الدارسون في المنطلق الذي يعتمد لتعريف مصطلح الأقليات، فنجد ثلاثة معايير، وهي:

أ- المعيار العددي: هناك من اعتمد في التعريف على العدد باعتبار الأقلية "مجموعة من السكان تكون أصغر إذا ما قورنت بعدد الأغلبية العامة من السكان، كما أنهم يختلفون عن تلك الأغلبية من حيث الجنس أو الديانة أو اللغة"[3]، وهنا تكمن مقارنة الأقلية بالأغلبية، فيلاحظ بأنها الأصغر عددا من حيث الأفراد وبالتالي يخضع أفرادها لسلطة الأغلبية في جميع المجالات.

---

[1]–محمد الأمين بحري، **كيف حظر الثالوث المحرم في الرواية الجزائرية؟**، الموقع: https://www. djazairess. com/annasr/188273، تاريخ الإنزال: 2018/01/22، تاريخ الزيارة: 2020/07/13

[2]–مسعود جبران، م س، ص. 110

[3]–سوران محمد مفتاح، **حقوق الأقليات وآليات حمايتها بين الشريعة والقانون الدولي (العراق أنموذجا)**، رسالة أعدت استكمالا لمتطلبات نيل درجة الماجستير في حقوق الإنسان، إشراف: أ. د هدى حداد، جامعة الجنان، طرابلس، لبنان، 1437هـ /2016م، ص. 9

ب- المعيار الموضوعي : يرى أنصار هذا الاتجاه أن الأقلية مصطلح "لا يخضع لمسألة عددية بل هي ظاهرة عامة في كل المجتمعات التاريخية والمعاصرة وهي أساسية في التنظيم الاجتماعي إذ تصنف الإنسان حسب أصله وعرقه وثقافته"[1]، فيكون هذا الاختلاف تبعا للثقافة واللغة والجنس، ولكل مجموعة خصائصها التي تحاول الحفاظ عليها، وتبرز وجودها بها في البلاد المتواجدة فيه.

ج- "اتجاه الفاعلية: يرى أنصار هذا المعيار إن الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي هو العنصر المحدد لمفهوم الأقلية، وهي حسبهم كل جماعة عرقية مستضعفة أو مقهورة أو مغلوب على أمرها بغض النظر عن عدد أفرادها كثرة كانوا أم قلة"[2]، وهذا بسبب الحروب أو الأوضاع المزرية التي تشهدها الأمة، فتتعرض الأقلية لأنواع التمييز العنصري واللامساواة مع الأصليين، أو تنشأ بسبب الهجرات أو الحروب.

ومن هنا يمكننا الخلوص إلى تعريف شامل يخدم هذه التناقضات التي رأيناها أعلاه، وهو أن الأقلية :"مجموعة بشرية تعيش داخل إقليم دولة ما، وتتمتع بخصائص تميزها عن غيرها من بقية السكان سواء كانت خصائص ثقافية أو دينية أو لغوية أو تاريخية أو جنسية"[3]، وتعيش هذه الفئة بعيدة عن مميزات الأغلبية، إذا تكوّن مميزاتها بنفسها ولنفسها، ويمكننا مشاهدة هذه المجموعات في كل أنحاء العالم، فهي تلقى تهميشا كبيرا وعنفا شديدا خاصة من ناحية الدين والأخلاق.

تعددت الأقليات في العالم، بسبب التأثير والتأثر الذي حصل بين الدول، خاصة وقت الحروب، وأصبحت تعاني من التهميش والعذاب النفسي قبل الجسدي، فنميز من بينها الأقليات العربية والمسلمة في البلدان الغربية والأوروبية التي استُقبلت بوجه الرفض في كل مكان، بسبب الدين الإسلامي المرفوض والمنبوذ، مثل "قمع الصين أقلية الأيغور المسلمة ومنع أفرادها من

---

[1]-خالد إبراهيم ديسري، ولاء محمد علي الربيعي، **خطاب الأقليات في مواقع التواصل الاجتماعي واتجاهاتها الفكرية وحاجاتها الإنسانية. دراسة تحليلية لصناعات الأقلية الدينية والعرقية للمدة**، الموقع: https://portal. arid. my/publications/fd2921b4-d942-4a16-8d47-84e5b6cffd0b. pdf، تاريخ الإنزال: (2/1- 3/3-2017)، تاريخ الزيارة: 2020/07/15

[2]-بشير شايب مجدوب، **مستقبل الدول الفدرالية في إفريقيا في ظل صراع الأقليات نيجيريا نموذجا**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، إشراف: د. عبد المومن، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2011/2010، ص. 19.

[3]- م ن، ص ن

ممارسة حرياتهم الدينية"[1]، مستخدمين أشد أنواع العنف والتعذيب، فالكل- أطفالا ونساء وشيوخا- يعامل بالمثل بسبب اختلاف العقيدة والدين، إضافة إلى أنه "لا يزال الروهينغا يعانون من الظلم و الاضطهاد، فقد قتل عشرات الألاف من المسلمين في ميانمار على يد الجيش والميليشيات البوذية التي يقودها رهبان متطرفون، كما أحرقت منازلهم ومساجدهم ومنعوا من ممارسة حريتهم الدينية"[2]، حيث مُنع أفرادها من أداء أركان الإسلام خاصة الصلاة بعد تدمير مساجدهم، فالأقلية المسلمة تعاني القهر لحد الساعة والعنف المتزايد كل يوم.

أما بالنسبة للأقليات في العالم العربي، فيتعذر تعدادها لكثرتها، حيث تضم الطوائف المسيحية، والإسلامية، واليهودية، فضلا عن الأمازيغ في شمال إفريقيا كالجزائر، إضافة لما تبقى من الأوروبيين بعد الحروب، وكان ظهور هذه الطوائف والأقليات كلها بسبب التداخل مع الدول الأوروبية والحروب الأهلية، وكذا الهجرات والنفي.

كان لليهود دور مهم في العالم العربي، يمثل جزءا لا يمكن حذفه من التاريخ العربي ف "لطالما كان اليهود جزءا من النسيج الديموغرافي العربي، لا بل طرفا أساسيا في نهوضه"[3]، ويعود وجود الطائفة اليهودية في البلاد العربية إلى عدة أسباب "بدأت بالمستوطنين الأوائل منذ القرن السادس قبل الميلاد (النفي البابلي) ثم موجة أتت بعد سقوط القدس (القرن الأول الميلادي)، وهاجرت هذه شرقا نحو العراق أو جنوبا نحو الجزيرة العربية وجنوب غرب مصر، تسربت أعداد منها إلى شمال إفريقيا"[4]، وبعد عام 1948، وهي السنة التي تأسست فيها إسرائيل في فلسطين، هاجر معظم اليهود إليها، ولم يبقى منهم إلا القليل في الدول العربية، فبعد أن كانت أعدادهم لا تحصى أصبحت ضئيلة نسبيا.

---

[1]- سمير يوسف، **الإيغور ليسوا وحيدين. . . الصين و6 بلدان أخرى تضطهد الأقليات المسلمة حول العالم**، الموقع:https://jlworld. org، تاريخ الانزال: 2019/12/26، تاريخ الزيارة: 2020/07/25

[2]- م ن

[3]-فرح جابر، **كيف ينظر يهود العالم العربي إلى مواطنهم؟**، الموقع: https://www. google. com/amp/s/raseef22. net/article/amp/2335/arab-jews، تاريخ الانزال:19/فبراير 2016، تاريخ الزيارة: 2020/07/24

[4]-نبيل محمود السهلى، **اليهود في الدول العربية**، الموقع: https://pulpit. alwatanvoice. com/content/print/16173. html، تاريخ الانزال: 2005/01/23، تاريخ الزيارة 2020/07/24

توصلنا من خلال ما حللناه في هنا الفصل إلى معرفة التاريخ أو بالأحرى معرفة المراحل التاريخية التي مرت على إثرها الرواية الجزائرية حتى تمكنت من اللحاق بموكب الرواية العربية والعالمية من خلال ترشح العديد من رواياتها للجوائز المختلفة، والتي حملت في صميمها مواهب الروائيين وإبداعاتهم خاصة ما له صلة بالثورة والحرية وبصفة عامة كل ما له علاقة بالهوية الجزائرية ومقوماتها المتعددة.

كما حاولنا الإلمام بموضوع المحظور وأنواعه ومدى إمكانية الكتاب الجزائريين من كسره، إضافة إلى تناولنا لمسألة الأقليات ومعاناتها في المجتمع من خلال التهميش والإقصاء والتعذيب الرهيب الذي يرافقها في حياتها.

الفصل الثاني

تمثيل اليهودي وإبرازه في رواية "أنا وحاييم" "للحبيب السائح"

المبحث الأول: مظاهر تمثيل اليهودي في رواية "أنا وحاييم"

المبحث الثاني: تجلي القيم وجلاؤها

المبحث الأول: مظاهر تمثيل اليهودي في رواية "أنا وحاييم"

ظهر اليهودي في العالم فيما سبق على هيئة شرير، وهذا ما تداولته الألسنة ووجهات نظر الطوائف الأخرى (المسيحية والإسلام)، وما جسده الأدب من خلال الدراسات والكتابات السابقة في هذا الموضوع، سواء الآداب الغربية أو العربية، وخاصة في الرواية باعتبارها تمثيلا وتجسيدا لما هو في أعماق المجتمع، وهذا ما نراه في بعض الروايات العربية، التي تناولت علاقة اليهود بالمسلمين الخاصة، ذلك أن الإسلام هو آخر الديانات وقد وُجه إلى البشرية جمعاء، ومن الطبيعي أن يتحاور ويتصادم مع ديانات سماوية أخرى.

وقد شغل الدين مساحة كبيرة في الروايات العربية، لاسيما ما ارتبط منه بالتعصب الديني وتمثيل بعض الصور الخاطئة حول القناعات العقائدية، ومن تلك الصور قضية اليهود وكل ما يشوه صورتهم، فسعى الروائيون لاستحضار شخصية اليهودي قصد إنصافها إنسانيا، فالأحكام المسبقة تؤكد أن "اليهودي بخيل، قذر، حاقد، منافق، دموي، غادر، غارق في الجنس، عبد للمال، لا يعرف القيم ولا المبادئ والأخلاق، انتهازي يطوع كل شيء من أجل تحقيق مصالحه وإشباعه شهواته"[1]. وهذه الصورة المتداولة الراسخة في أذهان العامة، بدأت تتغير تدريجيا، بفضل الأدب، حيث تكفل العديد من الأدباء بإظهار اليهودي بصورة مغايرة، مع ما يليق به من احترام، وأوصاف إيجابية تنسب إليه، كالمروءة والذكاء وحب المساعدة.

تطرقت رواية "أنا وحاييم"، الصادرة عام 2018، لقضية تهميش اليهود، التي تغاضت عنها الأعين الأدبية الجزائرية، إلا فئة قليلة أمثال أمين الزاوي ورشيد بوجدرة، إذ صور الحبيب السايح في روايته تلك موقف المسلم الجزائري تجاه اليهودي "حاييم"، وذلك عن طريق تمثيله في عناصر عديدة، يمكن تصنيفها على النحو الآتي: السياسي، الثقافي،

[1]– محمد سيد أحمد متولي، "**صورة اليهود في الرواية العربية المعاصرة. رؤية سردية مغايرة**"، مجلة رسالة المشرق، العدد1–2، المجلد 34، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، 2019، ص 23

الاجتماعي، والديني. فعمد الكاتب إلى إبراز دور ومكانة اليهودي في الثورة التحريرية الجزائرية.

1-التمثيل السياسي

تردّى وضع الشعب الجزائري في فترة الاحتلال، إذ أضحى غريبا في وطنه، مسلوب الحرية والإرادة، ما دفع مختلف أطيافه، العرقية والدينية، إلى حمل السلاح في وجه العدو المشترك، فنجد من اليهوديين والمسيحيين من شارك في النضال الثوري، وضحّى بنفسه في سبيل الحرية. وفي المدونة، التي بين أيدينا، سعى الحبيب السايح لوصف دور اليهودي "حاييم" في صناعة الحدث الثوري وتعبيد طريق الاستقلال، فأظهره على غير الكثير من الذين كانوا يقطنون البلاد وخانوا الثورة، كعائلتي "بكري وبوشناق" المعروفتين بالرشوة والتي قبلتا التجنيس الفرنسي وانضمتا إلى فرنسا لينتهي بهما المطاف في فلسطين.

ولم ترتبط الخيانة، لدى البعض، بالثورة فحسب، إنما كان ذلك منذ عصور بعيدة، حيث اعتبر بعض اليهود الجزائر بلدا لهم في الظاهر فقط، ما دفع البعض إلى التأكيد بأن "اليهود نقطة سوداء في تاريخ الوطن، تاريخ ارتبط بالوقوف مع الغريب ضد أهل الدار ومصافحة الاحتلال وطعن ظهر الجزائر"[1]. فضلا عن الخيانة التي قاموا بها لدى قبولهم قانون التجنيس، وهذا ما ثار عليه اليهودي "حاييم"- في الرواية- ولم يقبله، لأنه يعتبر نفسه جزءا وفردا حقيقيا من أبناء وطن الجزائر الذي حماه وقدم له الحياة الهنيئة لولا الاستعمار، الذي قام باستدراج الطائفة اليهودية التي لم تكن مع فرنسا قبلا، حيث "كانت فترة 1954-1956 فترة التحفظ عند الطائفة اليهودية إذ تجمع المصادر اليهودية على عدم صدور أي تصريح رسمي لليهود في موقفهم من الثورة الجزائرية، في نفس المرحلة كان اليهود يعلنون

[1]- مراد كدير، **اليهود والجزائر كرونولوجية الخيانة**، الموقع: https://www. noonpost. com/content/17734، تاريخ الانزال: 2017/04/27، تاريخ الزيارة: 2020/08/05

عن تركيبتهم المزدوجة، تنشئة جزائرية وتوجه فرنسي"[1]. وهذا لم يتقبله المستعمر فوجد أن الإمكانية الوحيدة لجذب هذه الفئة هي زرع الحقد والتمييز العنصري بين الطائفتين، ونشر الصراع الديني، زاعما أن اليهود أخو اليهود وأن المسلم هو العدو، ولذلك فقد أثر على عقولهم، إلا فئة قليلة منهم، وهم الذين يحسون حقا بوطنيتهم، وأحسن مثال، كما قلنا، الشخصية الأساسية في الرواية، اليهودي "حاييم"، التي صنعت الحدث في الثورة الجزائرية من خلال مشاركتها فيها، حيث آمنت بوجوب الدفاع عن الوطن إلى جانب الجزائريين، مما يوضح مدى انتماء وتشبث هذا اليهودي ببلده، حيث كان أول عمل له تجاه وطنه في طفولته الانتخاب لإعلاء أصوات الجزائريين العديدة، من أجل تحرير الجزائر، فكان رأي حاييم من رأي الجزائريين الذين أرادوا حتما الحرية، إذ "انتخب ورقة نعم في مكتب مدرسة جول فيري"[2]، رغبة منه في إخراج المستعمر الذي سبب الدمار، وقضى على الطمأنينة بين الأفراد وفرق بينهم بحكم اختلاف الأديان مركزا على هذا الأساس. وبعد كل هذا رأى "حاييم" أن المآل الوحيد لردع الفرنسي ونيل الحرية هو المجابهة مثل سائر المجاهدين ومثل صديقه "أرسلان" المسلم الجزائري، قائلا: "لا مفر من الحرب، حتي النهاية!" [3]. وهذا يبرز بوضوح إحساس "حاييم" بحب الجزائر ورغبته في أن تكون دائما في سلام، وظل يشعر بالأسى من المشاهد التي يراها متكررة في كل يوم، فكانت بمثابة صورة من فيلم رعب تصور التعذيب أو القتل، وكذا التمييز الذي يعامل به الكولونياليون (الإقطاعيون) الفرنسيون الجزائريين.

قرر "حاييم" أن يكون مجاهدا ويضحي بدمه وماله في سبيل وطنه، ومواجهة الأعداء ومحاربتهم، فالروح الوطنية التي يحملها، بالرغم من اختلافه عرقيا وعقائديا– باعتباره يهوديا في بلاد مسلمة– كانت سبب حسرته من عدم الالتحاق بالثوار في الجبل. بذلك اعترف لصديقه: "تعرف يا أرسلان؟ كل يوم أزداد شعورا بأن مكاني يجب أن يكون إلى جانبك،

---

[1]– مراد كدير، م س

[2]– الحبيب السايح، **أنا وحاييم**، ط1، دار ميم/ ميكسلياني للنشر، الجزائر/تونس، 2018، ص. 213

[3]– م ن، ص. 126

أحمل السلاح مثلك من أجل شعب يستحق الحياة!"[1]. فلم يهتم بما سيواجهه أو ما سيصيبه في أعالي الجبال، بل قرر أن يضحي 8بحياته، إذ كان حلمه الأكبر هو تحرير شعب سيد من الأشرار، ذلك أنه كان يؤمن بفكرة أنه فرد من الشعب الجزائري ومن أرض الجزائر. يقول معترفا: "جذورنا من هذه الأرض" [2]. ولم ينس هذه الحقيقة مثلما فعل آخرون، فهم أخوة مهما حصل وإن لم يكن في الدم أو الدين، لكنهم أخوة في الروح، والروح الوطنية أقوى من كل علاقة، وهدف الجميع واضح ومشترك هو الفداء من أجل غد أجمل وأفضل.

أسهم "حاييم" في الثورة التحريرية بطريقة أخرى غير السلاح، فقد ضحى بمصدر رزقه، الذي وجّهه منذ صغره نصرة لإخوانه الثوار وفي سبيل المقاومة، وهي صيدليته، حيث كان يقدم الأدوية للمجاهدين المصابين دون علم الجيش الفرنسي، ووضع نفسه في خطر محدق لأنه تعرض للتهديد والتفتيش، وبالرغم من هذا ظل إحساسه دائما مضطربا، ذلك أنه أراد أن يكون مع صديقه "أرسلان" في الجبل، فواساه قائلا: "لكنك هنا في صيدليتك تقدم ما يسند السلاح"[3]. وكذلك أمدّ زليخة (زوجة أرسلان بعد الاستقلال وكانت أيضا في الجبال كمجاهدة)بيد العون، بعدما قامت بعمل فدائي، فخبّأها في صيدليته لتتوارى عن أنظار العدو. أقرّ له "أرسلان" بذلك الفضل في قوله: "ولولاك ما كانت زليخة لتنجو في تلك الليلة"[4]. فقام "حاييم" بمداواتها، لكن، رغم هذه التضحية كلها، قامت المنظمة المسلحة السرية OASبإحراق صيدليته.

[1]- الرواية، ص. 168

[2]- م ن، ص 100

[3]- م ن، ص 188

[4]- م.ن، ص. 188

2-التمثيل الثقافي والاجتماعي

كثيرا ما تقوم الصراعات الأيديولوجية والثقافية، وحتى الحروب، بسبب اختلاف الثقافات المتواجدة في حيز واحد، سواء بين الأمم، والمجتمعات، وحتى بين الأفراد، وذلك بسبب اختلاف العادات والتقاليد بين المجموعات البشرية ونفورها من فكرة التعايش، والحل الأنسب لمثل هذه المسائل المستعصية، هو المحاولة على التأقلم وتقبل التعدد، خاصة الاختلاف الديني، فنجد في الروايات العربية صورة لليهود على أنهم "مكون من المجتمع الذي ينتمون إليه ويندمجون فيه، ويتعايشون مع عاداته وأعرافه، حتى إن بعضهم يوافقه في مواقفه المعارضة للحركة الصهيونية"[1]، وهذا التوحد كان نتيجة للتواصل والتشارك بين الأفراد على كل عادة أو على حل كل مشكلة، ويفرحون لبعضهم، كما يتشاركون في الأطباق واللباس كأنهم من بلد واحد، وهو ما يظهره الروائي "الحبيب السائح" في شخصية اليهودي التي أدرجها في روايته، هو وعائلته، بشكل متفتح ومتقبل بين الثقافيتين العربية الإسلامية واليهودية، بوضوح ومنذ القدم: "أجدادك قبلك لبسوا العباية والبرنوس والحفاظ وسباط زيطزيط مثل الأنديجان، وغنوا غناءهم وتكلموا لغتهم وفتلوا الكسكس وأكلوه بأيديهم مثلهم قبل أن يعرفوا الملاعق!"[2].

يظهر المقطع السابق أنه لم يكن هناك أي تذبذب بين أفراد الثقافتين، كما هو الحال لدى بعض اليهود الآخرين الذين يرفضون كل أمر متعلق بمسلم أو مسيحي، وهذه العلاقة المندمجة بين الفئتين تبين، وبشكل عفوي، إمكانية التلاحم وتقبل الآخر، فنجد عائلتي "حاييم" اليهودية و"أرسلان" المسلمة، الجزائريتين، مقربتين لدرجة كبيرة، حيث يصورهما الروائي في تبادلهما للأطباق والأحاديث، كما كانتا متعاونتين كعائلة واحدة، ناسين معنى اختلاف العادات والتقاليد، لأنها لا تمثل مشكلة إذا كان هنالك تواصل بين القلوب، فعندما

[1]- زياد الأحمد، "**تحولات الشخصية اليهودية في الرواية العربية**"، صحيفة "العرب"، العدد 11577، دار النشر العربي، لندن، الأحد 5 يناير 2020، ص. 11

[2]- الرواية، ص. 41

يكون الإنسان منشرحا، معتدلا وبعيدا عن التمييز بأشكاله، نجده يتعايش مع كل أطياف المجتمع.

وفي الرواية ما يبرز شدة التفاهم بين الذات المسلمة والآخر اليهودي، إذ تجتمع الذاتان في ثقافة جزائرية مشتركة، حيث عبر "حاييم" لـ "أرسلان" عن عطلته، فيحكي عن "عوائد الأعراس عند عائلات اليهود والمسلمين وتشابههما كما في مراسم موكب العروس يوم زفّها... وألبسة الرجال... زينة النساء بالكحل والمسواك وأطباق الرفيس بالشاي... "[1]. وهذه الصورة التي أعطاها الحبيب السايح عن اليهودي، كما أسلفنا القول، أفضل صورة للاندماج، وهي دليل على مشاركة الطرفين في مجالات الحياة المختلفة، ويكون هذا التشارك السبب الأول والرئيسي لنجاح أي علاقة بين طرفين مختلفين كل الاختلاف، وهو ما يحقق عملية التجاذب والتحاور بينهما، إضافة إلى إتقان اللغة التي تساعد كذلك بشكل كبير، ويتجلى ذلك في إتقان بعض العائلات اليهودية في الجزائر، كعائلة حاييم بن ميمون، اللغة العربية بوساطة الأم والأب، وتكلمها بطلاقة وسلاسة، فكان "لسان أفرادها مستقيما وسليما في نطقهم الأصوات العربية، مثلهم مثل بقية اليهود الأهالي في جهات ومدن أخرى"[2]. وفي هذا إشارة من الكاتب بأن سر التحاور بين الأفراد استيعاب اللغة، فهو عامل في تفهم الثقافات الأخرى وتقبلها وعدم النفور منها، ومن العلاقات التي من شأنها أن تكون سببا في رقي المجتمعات.

لعل الصورة الإيجابية التي يقدمها الكاتب حول اليهودي الجزائري تظهر لنا بعض توجهاته بخصوص إنصاف اليهود، فـ "قد يكون هذا التحول في صورة اليهود نتيجة طبيعية لبعض دعوات التطبيع الثقافي الذي يهدف إلى إحداث تحولات في التوجهات الفكرية وإدراك حقائق الأشياء"[3]. مما يؤدي إلى إنهاء المواجهات الحامية وكذا الحروب في العالم، فالتطبيع

[1]– الرواية، ص. 259

[2]– م ن، ص. 30

[3]– محمد سيد أحمد متولي، م س، ص. 73

الثقافي وأهميته في التفكير الإنساني وإمكانياته العالية في تغيير التفكير الجماعي هو الذي يعزز، وبوضوح، مدى انتماء الفرد الغريب للمجتمع الذي يمكث فيه ويستمد منه طاقته.

فضلا عن تلك العادات والتقاليد المتشاركة بين العائلتين، نجدهما تشتركان حتى فيما هو حرام، فنراهما تبتعدان عن أكل الحرام: "يشتري هذا وذاك اللحم نفسه من عند الجزار نفسه ولا يقربون جميعا مطعما يقدم لحم الخنزير"[1]. ويندرج هذا في المتفق عليه عقائديا، وإضافة إلى الرغبة في تقبل شعائر المجتمع الجزائري الدينية، والسير على نهجها، فثمة وعي لدى العائلات بإمكانية التوافق الشعائري، مما يجعل الأفراد يتبادلون الاحترام في نطاق المجتمع. ولقد مثلت رواية "أنا وحاييم"، حقا، مظهر التشارك الثقافي بين العائلتين، فيتعامل أفرادهما فيما بينهم على أساس السلام، تاركين كل أنواع العنصرية والكراهية، فيتزاورون ويتبادلون الكثير فيما بينهم، وعن هذا يقول "حاييم" لصديقه "أرسلان" مستذكرا: "عجيب! كل شيء أجده يتحول بسرعة أمس فقط كنا ندخل داري عائلتينا العامرتين. جدتك وأمي تتزاوران وتتبادلان أطباق الأكل والتحيات والتهاني في عيد الفطر كما في يوم كيبور. نأكل الطعام التقليدي نفسه. ونلعب ونمرح"[2]. فهذا يظهر مدى انفتاح "حاييم" و"أرسلان" بعضهما تجاه بعض، فمنذ الصغر وهما يسيران على نمط واحد، بتفكير واحد وبقلب واحد، ما يؤكد أن الثقافة ليست عائقا لنجاح العلاقات.

ويستوقفنا مشهد حضور "حاييم" عرس صديقه، بالرغم من تباين العادات، فقد حضر لأنه تفهم أن الأمر قبل أن يكون مسألة عادات وتقاليد فهو مسألة أخوّة وصداقة، حيث حضر مراسم ذلك الزواج وارتدى ملابس مثل العريس، وتعايش مع كل ما هو مقدم في الثقافة الجزائرية عن الأعراس. قال "أرسلان" معبرا عن ذلك التعايش التلقائي: "بعد أن نزعنا عنا بذلتينا العصريتين، في ملابس تقليدية فاخرة: عمائم توتية صفراء وبرانيس وبر وعباءات

[1]– الرواية، ص. 75

[2]– م ن، ص. 146

تيصور وأقمصة حريرية وأحذية جلدية من نوع البوسكالي"[1]. إذ شارك "حاييم" جميع الحالات في هذا العرس، ولم يكن له شكوى أو خلل في هذه الأوقات السعيدة، وإنما عاشها "حاييم" بصدر رحب وفرح، إلى درجة أنه لا يمكننا استشعار الاختلاف الذي بينهما، كجزائري أو يهودي، لأنهما مندمجان حق الاندماج، وليس هما فقط بل نجد فئة قليلة يمكن أن نضيفها إلى عائلة "حاييم"، خاصة من ناحية اللباس، إذ لا يمكن التفريق، فيها، بين اليهود والسكان الأصليين، وهذا ما تظهره الشوارع بين أغلبية الأوربيين والأقدام السوداء، فنجد "وسطهم يهود من طائفة التوشاقيم، نساء ورجالا، يميزهم من الأقدام السوداء والأوربيين لباسهم التقليدي، يكاد لا يختلف عن لباس المسلمين في الأحذية والسراويل والعمائم والطرابيش الحمراء"[2]. وهذه الملابس توضح تشارك الثقافات بين أفراد الطوائف، فبالرغم من كل اختلافهم الديني وعاداتهم وأعمالهم، لكنهم تقبلوا فكرة العيش مع الجزائريين المسلمين كشعب واحد، لذلك يعتبر الإنسان اليهودي، أيضا، مكونا اجتماعيا لا يمكن إخفاؤه في المجتمع، والعامل في هذا التعايش كله تقبل الجزائريين لهذه الطائفة بكل حالاتها، وعدم تهميشهم وممارسة العنف عليهم. فإذا قمنا بالمقارنة بين أفراد الطائفتين ثقافيا واجتماعيا فلن نصادف عوامل شقاق أو صدام في عاداتهم، كما رأيناه في الرواية، ما عدا مواظبة هؤلاء وأولئك على ديانتهم وشعائرهم، ويتجلى ذلك في"... معرفته اللهجة العربية لأن أمه زهيرة كانت لا تكاد تتكلم غيرها عكس والده موشي الذي علمه العبرية وبها صار يقرأ التلمود والتوراة"[3]. إذ تعلم "حاييم" العربية واستعملها، لكنه لم يترك لغته الأصلية العبرية لأجل ثباته على عقيدته.

[1]– الرواية، ص. 277

[2]– م ن، ص. 158

[3]– م ن، ص. 31

ومن هنا نرى أن "اليهودي في الجزائر جزائري، مسلم الثقافة ويهودي الديانة"[1]، لم يقف الجزائريون ضد آخر ليس منهم ، فإذا كان مسلم أو يهودي فهو من الشعب، وقدره من قدر الجزائري وكونه في مجتمع غير مجتمعه، لا يعني أنه إرهابي أو غير مرغوب فيه ولكن من المحبب اعتباره على الأقل ضيف وانه أخ في الله، لذلك لا يجب أن يكون هناك خلافات أو انقلابات حياتية بينه وبين الآخر، وخير مثال "حاييم" وعائلته.

3-التمثيل الديني

لا يجب أن يكون التنوع الديني نقطة ضعف الشعوب أو سببا للعداوة، بل يجب أن يكون نقطة للتآلف والتكامل، وقد عرفت الجزائر هذا التنوع في تاريخها، ولا تزال بعض آثاره باقية إلى يومنا هذا. ورغم انقضاء كل هذا الزمن، لم تتأثرالعلاقات الدينية كبير تأثر، فكلٌّ حر في طريقه ومعتقده، في إطار ثوابت الوطن ومرتكزات المواطنة، هذا ما يؤمن به الشعب الجزائري. وقد مثل الحبيب السائح التحالف الديني بعلاقة "أرسلان" المسلم و"حاييم" اليهودي، فهما مترابطان لدرجة لا يمكن التفريق بينهما، إذ لم يكن الدين حاجزا بينهما، هذا ما يخبرنا به المقطع الآتي: "لا وقع يوما أن حاول أحدنا رد الآخر عن دينه، واجدين ذلك من سلوك عائلتينا ومن غيرهما من المتجاورين من المسلمين واليهود في الدرب خاصة"[2]. احترم كل واحد دين الآخر دون رد الاعتبار لأي منهما أحسن كما يعمل الآخرون، ولم يحاول أي منهما تفعيل المشاكل وهذا كان من خلال تربيتهما الحسنة خاصة ما رأوه في محيط عيشهما والحياة التي كبرا فيها استنادا للسلوك الجيد لعائلتيهما وكذا جيرانهما مما أدى لتكوينهما لثقافة عريقة ذات أصول راقية خالية من الشوائب. أوصى الله تعالى في جميع ما أنزله وبعثه لعباده من أول أنبيائه أبينا آدم إلى خاتمهم وهو الرسول محمد عليه افضل

---

[1]- فوزي سعد الله، **هذا هو المجهول في حياة يهود الجزائر!**، الموقع: https://www. maghrebvoices. com/2017/10/25، تاريخ الانزال: 25 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 2020/10/10

[2]- الرواية، ص. 123

الصلاة والسلام على طاعة الله خالق الكون ومنه الإيمان بجميع رسله وكتبه، وجعل الله عز وجل لعبده حرية الاختيار لدينه، قال تعالى: ". . . لكم دينكم ولي دين"(الكافرون_الاية٦). اذا ما دامت هذه الحرية والطلاقة فلا وجود لأي معضلة للتخاصم بين من خلقوا من نفس واحدة خاصة وان يوم الحساب وكيفية الحساب نفسها ولن تبقى سوى الأفعال، فالله تعالى جعل كل الديانات السماوية تخدم عبده وتدعوه للأمن والإيمان، وتنهيه عن المنكر، وهذا ما نراه بشكل جلي في طبيعة أرسلان وحاييم خاصة فيما له صلة بالتقرب لإله الكون الواحد الأحد. فنجدهما في قراءة القرآن والتوراة يكونان معا، وفي مكان واحد في غرفة الإقامة خاصة، فقال أرسلان "وجدت حاييم دخل سريره وبين يديه كتاب التوراة الذي غالبا ما يقرأ منه حيث يكون في حالات من الحزن أو التوتر. . . وفي سريري فتحت على الصفحات الأولى"[1]. مما يعني أنّ كل منهما تقبل صديقه كما هو بأصله وفصله ولم يكن الاختلاف الديني لازمة للتفريق بينهما، وإنما كان الهدف الحب والدفئ الصادق النابع من القلب، حيث حافظا على الكنز الذي بينهما وحموه من كل ضرر وسعا لزيادته وربطه اكثر في كل مرة يواجهان فيها العنصرية بأنواعها. حتى أنهما احتارا من سبب عدم تقريب الأديان بين العباد: "لطالما تساءلت منذ التقينا، بعد خروجنا من صلاة المساء في بيعة لارودوت، إن كانت الديانات صارت عاجزة تماما عن التقريب بين أبناء آدم، إذ يبدو أن الصلوات كلها في كنيسة هذه المدينة ومسجدها وبيعتها لم تزد هذه الحرب إلا أوارا"[2].

فإذا كنا كلنا من تراب وأبناء أبينا آدم، والله واحد، فلم كل هذا العنف، والحقيقة أنسبب إسهام الدين في تزايد الحروب هو السياسة ودخول الاستعمار الذي خلق فراغا بين الأهالي وانشقاقا بينهم، فالسبب ليس دينيا ذلك أن هذا التشتت يخدم المستعمر، فلو بقي الشعب كله مع التحامه باختلافه، لما نجح ذلك الدمار كله. وبذلك وصل الاستعمار لهدفه المنشود في

[1]– الرواية ، م س، ص. 202

[2]– م ن، ص. 202

التفرقة بين أفراد المجتمع الواحد، فالعلاقة المكتملة والقوية هي تلك التي تنبني على أساس متين الذي إذا اهتز يرمم بتلك القناعة بصدق الآخر التي يصعب على شخص ثالث أو شيء خارج نطاقها أن يهز بها، إضافة لحسن النية دائما لأن النية هي كل بداية لكل عمل موفق لذلك أوصانا به رب العالمين، فنجد "حاييم" الذي مثلت نفسيته وروحه الجميلة المتفهمة ما جاء في التوراة، فأدرك أن الحياة فانية، وأن لكل واحد دينه الذي يتبعه وتفكيره، وكله قناعة بأن كل الأديان تدعو لتحقيق سمة واحدة وهي السلم، وأن مسيّر الحياة وموجّهها هو رب الكون وحده لا أحد غيره.

هذه الصفات التي يتميز بها "حاييم" أثبتت مدى تقديسه لديانته، ومن ثم احترامه للإسلام، ويتجلى هذا، على سبيل المثال، في حفلة الزفاف، لدى تلاوة الفاتحة على "زليخة"، فيصف "أرسلان" صديقه قائلا: "حاييم بجانبي صامتا في خشوع"[1]. والمغزى من هذا المشهد، أنه مع اختلافك لا أتذمر، إنما احترم ما ينتمي إلى حدودك، وذلك ما اتصف به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذي كان يحترم كل الأديان ويدعو إلى الألفة بينها، حيث يقول :"«لليهود دينهم»، قبل أن يقول :«للمسلمين دينهم»، ليكون في أعلى درجات الإنصاف والتسامح، وتأكيد حرية المعتقد"[2]. فتلك هي القدوة التي يتعين على جميع الناس الاقتداء بها والسير على نهجها، ولقد نبهنا الحبيب السايح إلى ذلك، أكثر من مرة، فها هو يُظهر في مشهد من مشاهد الرواية كيف علق اليهودي الجزائري "حاييم" لصديقه بقوله، وهو يشير إلى موضع القلب: "هنا يجب أن يكون الله الذي نعرفه! أنت تعلم!"[3]. وحقا فإن حب الله هو غاية كل الديانات السماوية، ودعوة كل الأنبياء والرسل، ورسالتهم المشتركة إلى البشر والبشرية.

---

[1]– الرواية، ص. 275

[2]– محمد مختار جمعة مبروك، **التعايش السلمي للأديان وفقه العيش المشترك نحو منهج التجديد**، ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2014، ص. 10

[3]– الرواية، ص. 260

المبحث الثاني: تجلي القيم وجلاؤها

تُظهر رواية "أنا وحاييم" بعض ما تتصف به الجزائر من ميزات بشرية تؤهلها لأن تكون أحد البلدان التي يضم ترابها عنصري التعدد البشري والتنوع العقائدي، فيجد المتتبع لتاريخه لثلاث ديانات مختلفة، هي الإسلام، المسيحية واليهودية، التي شكلت عنصرا هاما من الهوية الوطنية العامة، مع ضرورة الإشارة إلى ما آل إليه الحال في فترتي الاحتلال الفرنسي وبعد الاستقلال الوطني، والبحث في طبيعة العلاقة التي تجمع بين هذه الديانات، لاسيما الإسلام واليهودية، وإبراز أهم القيم التي سادت في هذه الحقبة من تعايش وتسامح، وسط كل التعصب العسكري الفرنسي، والتمييز العنصري، وفي ظل حياة غير مستقرة بصفة عامة. ذلك ما سنهتم به في هذا المبحث الأخير.

1- التعايش والاندماج شرطا الوجود

تقوم رواية "أنا وحاييم" على تصوير علاقة جامعة بين عربي مسلم يدعى "أرسلان" ويهودي باسم "حاييم"، طفلان تعلما معنى الطفولة والمشاغبة في الحي والمدرسة والشارع نفسه، وتعرفا على مصاعب وحلاوة المراهقة بكل مراحلها، ومن ثم كبرا وبلغا الرشد وتعلما الصح من الخطأ فصار كل سند للآخر، و ذلك كان السبب لتفوقهما في الحياة من خلال تشاركهما في مواجهة جميع العراقيل.

صداقة مؤهلة لتكون في الصفحات الأولى من كل مجال وقدوة لجميع البشر بالرغم من اختلاف أعمارهم أو أجناسهم، صداقة نشأت وكأنها نعمة من المولى في ساحة الاختلاف الديني، علاقة بين اليهودي والوطن الجزائري بالرغم من أنه من الأقليات البعيدة التي جاءت لتمكث فيها وتبحث فيها عن كينونتها، فصنعت مكانة لها بين مواطنيها، إذ نجد "«أنا وحاييم» نص ينحت في الذاكرة الجزائرية لكي يربط الذكرى بالواقع المعيش ويصل

الماضي القريب بالحاضر"[1]. ويعيد برمجتها بشكل مغاير عما كان ويبرز علاقة الازمنة ويحاول الربط بينها ويبني فكرة جديدة يربي الجيل الجديد.

ومن هذا المنبر يمكننا التوصل لضرورة الهوية في بناء المجتمعات، على الرغم من تعدد الأجناس، فعند الرغبة في معرفة كيفية بناء الحياة والعلاقات الشخصية والوطنية في دولة ما، منها العربية بما أننا فيها ومنها، "يكفي أن تطلع، مثلا على عينة من الروايات الصادرة، في الأعوام الأخيرة خاصة، ليتبين الاهتمام المشترك، غالبا، بالتاريخ وبالعلاقة مع الآخر وبالحريات وبالهويات"[2]. فباستطاعة القارئ معرفة طبيعة مكونات مجتمع ما والعلاقات الرابطة بينها، على نحو ما فعل الحبيب السائح في روايته، فهو لم يعر الاختلاف الديني اهتماما بقدر ما اهتم بالأفعال والعلاقات الداخلية الدفينة التي تبين حقيقة حب الوطن.

بينّا في المبحث السابق نماذج من دور اليهودي "حاييم" وانتمائه الثقافي والسياسي والديني، وإسهامه في الحياة الاجتماعية والتاريخية للبلاد، حيث ظهر في الرواية بوصفه فردا أصليا، مثله مثل "أرسلان"، وبهذا "لم يكتب السائح عن صورة اليهودي، بل عن الجزائري الآخر، الذي هو جزء من التركيبة البشرية والاجتماعية والثقافية، التي تشكل في تركيبها الهوية الجزائرية"[3]. وفي تفكيره لم يسند كلمة الآخر إلا إلى الفرنسي المغتصب، وليس اليهودي باعتباره الأول، فذلك الغازي جلب الدمار لأرض كانت مستقلة ينعم أبناؤها بالحب والألفة. واليهودي، الذي تجسد في شخصية "حاييم"، هو الفرد الذي وقف في وجه الدمار،

---

[1]– فاطمة بن حمد، **أنا وحاييم "مصالحة تاريخية وتعايش إنساني"**، الموقع: http://kritica1. blogsport. com/2019/08/blog-post-21html?m=1 ، تاريخ الانزال: 2019/08/21، تاريخ الزيارة 2020/10/07

[2]– نسرين أحمد زواوي، **الكاتب الجزائري الحبيب السائح" على النخب السير نحو الأفق الذي رسمه الحراك لبناء مستقبل جزائرالمواطنةوالحريةوالعدالة**، الموقع:https://www. elhayatalarabiya. net/ar، 29 يونيو 2020، تاريخ الزيارة: 2020/10/07

[3]– لونيس بن علي، "**أنا وحاييم" للحبيب السائح. . رواية عن الجزائر المتعددة**، الموقع: https://ultraalgeria. ultrasawt. com، 16 أكتوبر 2019، تاريخ الزيارة:2020/10/07

واعتبر نفسه جزائريا قبل كل شيء. ذلك ما قاله الروائي في مقابلة أجريت له: "أحببت من تخييل العلاقة بين جزائريين أحدهم مسلم والآخر يهودي، أن أكسر قوقعة طابو الحديث عن اليهود الجزائريين الذين عاشوا في البلاد منذ أكثر من عشرين قرنا، الذين انضاف إليهم المهاجرون الفارون من محاكم التفتيش في إسبانيا، فكانت الجزائر أرض أمان وسلام لهم"[1]. كانت الجزائر جنة لمن اتخذها مأوى له، لا مكان للتفرقة والتعصب الديني أو الثقافة المختلفة بين الأفراد، بل كانوا متفاهمين ومساعدين لبعضهم البعض، لذلك كان على السائح أن يغوص في تاريخ بلاده المستور ويضع النقاط على الحروف ويهدم جدار الكراهية التي سكنت أفراد مجتمعه ويبني مكانه جدار محبة وتفاهم وتقبل.

إذا عدنا وتصفحنا تاريخ الجزائر لوجدنا حقيقة واحدة لا غيرها وهي أن اليهود شكلوا خلية جديرة بأن تضاف وتنصب في صميم هذا المجتمع، وأن العدو الأكبر دائما وأبدا هو ذلك المحتل الذي يستغل كل يد تمكنه من الوصول لهدفه والوسيلة السهلة التي يتبعها في ذلك نشر العدوانية والكره، والفجوات بين الشعب الملتحم، وأيقظ في اليهود فكرة أنهم المختارون، ومن ثم "دفعهم إيمانهم بتفوق العرق اليهودي، ومقولة "شعب الله المختار" إلى الاعتقاد قولا وعملا بالعنصرية والتمييز العنصري"[2]. لذلك ثارت اسرائيل على كل المعتقدات والأدينة لتكون حسب تخمينها تحارب في سبيل الله فتغيرت العلاقات بين الجزائريين واليهود، بعدما عملت فرنسا على إعطاء حق التجنيس والهوية الفرنسية لكل يهودي يقبل الانضمام إليها فكان "بعض اليهود الجزائريين رفضوا هذا المرسوم خشية الذوبان في المجتمع الاوروبي الذي يتعارض مع تعاليمهم اليهودية، أما الأكثرية من اليهود فرأت في هذا المرسوم فرصة

---

[1]– لينكس كالي، **حوار مع الروائي الجزائري الحبيب السايح المدرج على القائمة الطويلة للجائزة الدولية للرواية العربية 2019**، الموقع: https://www. google. com/amp/s/www. dzair-tube. com/46594/3famp تاريخ الانزال: 16يناير 2019، تاريخ الزيارة: 2020/10/07

[2]–غازي حسين، **الاستبطان اليهودي في فلسطين من الاستعمار إلى الأمبريالية**، د ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص10

للاندماج في المجتمع الاستعماري الذي سمح لهم بالترقي الاقتصادي والثقافي" [1]لضمان حقوق العيش لهم كالأوربيين، بعكس الجزائريين الذين سلبت حريتهم وجعلوا في المرتبة الدنيا، إضافة إلى التمييز العنصري الظاهر بين الناس لتفكيك وطنيتهم، لكن "حاييم" اليهودي لم يكن من أولئك اليهود الذين غوتهم حياة الزهد مع الأوروبيين، فقال أرسلان :"... -كذلك اعترف لي في طيق عودتنا- وقال إنه شخصيا ليس من أولئك اليهود" [2]. فعلاقته بـ "أرسلان" أثبتت ذلك، ولأنه لم تغويه المظاهر ولا المال، ظل دائما وفيا، كما نتج بينه وبين أرسلان ومنه مع الجزائريين كلهم هاجس مشترك المتمثل في حب للوطن، وهو الذي حقق إمكانية تلاقي الأديان بلا منازع.

نلاحظ أن مدونة الحبيب السائح جاءت على شكل سيرة ذاتية، فهو الروائي والسارد والشخصية الرئيسية إذ "ينقب هذا النص في تاريخ الجزائر عبر ذاكرة "ارسلان" فهو الشخصية التي اختارها الروائي لسرد الأحداث عبر تقنية التذكر وكتابة المذكرات فكان هو(الأنا) الساردة لتفاصيل الأحداث بطريقة السرد الذاتي، تجعل القارئ يشك انه أمام عمل سيري أو سيرة ذاتية، وهو كذلك سيرة ذاتية وسيرة غيرية لشخصيتين روائيتين (أرسلان وحاييم) يحفر "أرسلان" في ذاكرته الفردية ليروي لنا تفاصيل حياته إلى جانب صديق طفولته "حاييم" "[3]، وهذا كان قصده أن يذكر لنا تفاصيل مهمة ودقيقة من حياته، وحياة العنصرية التي عاشها بلده. حيث قال في إحدى مقابلاته الأخرى: "«أنا وحاييم» نص ينحت في الذاكرة الجزائرية لكي يربط الذكرى بالواقع المعيشي ويصل الماضي القريب بالحاضر، ويركز على جوانب إنسانية قد تكون الرواية الجزائرية أغفلتها فيما سبق"[4]، ومن هذه المسكوتات

---

[1]- عبد المالك حمروش، أغلب يهود الجزائر كانوا معادين للثورة، الموقع: https://elsoumoudelcharif. ahlamontada. com/t12240-topic، تاريخ الإنزال: الاربعاء 29 يناير 2014، تاريخ الزيارة: 10 نوفمبر 2020

[2]- الرواية، ص. 99

[3]- فاطمة بن حمد، م س

[4]- م ن

الأدبية والتاريخية نجد علاقته بصديقه التي تحدد صلة القرابة للجزائري بالآخر المختلف، التي تنقر وتحفر في المدى البعيد للجزائريين ويستحدثها للشباب اليوم، فكان خضوعه في الكتابة في مثل هذا الجانب الحساس صادر من قناعته ويقينه منها فصرح: "إن اختياري الكتابة عن تلك العلاقة نابع من قناعتي بأن اليهود الجزائريين شكلوا جزءا لا يتجزأ من مكونات البلد البشرية والتاريخية والثقافية"[1]. لذلك لم يكن سبيل السايح سهلا لأنه حاول أن يؤكد بأن اليهود مثلهم مثل الجزائريين –وهذا ينطبق في العالم كله–، وهذا ليس بالسهل طبعا، فأخلاقه وما عاشه بجانبهم أراد بها أن تكون مثالا لاذعا من أجل حماية البشرية من التصادم، وإعادة الاعتبار لليهود الذين تناسقوا مع مجتمعه وشكلوا خلية واحدة مع الشعب، وعاشوا حياة متضامنة ومتكاملة بعيدا عن كل أفق الكراهية والتعصب كما هو الحال مع بقية الأجناس، إضافة إلى استرجاع الصورة العالقة في ذهنه إلى حد الساعة العائدة إلى زمن الاستعمار، والمتصلة باليهود.

يقول الحبيب السايح: "وأنا طفل، كنت أرى بعضهم من سكان مدينتي (سعيدة) قبل أن يختفوا مع بداية الاستقلال. وحينها كنت لا أفرق بينهم وبين غيرهم من السكان الأصليين، للباسهم ولهجتهم. كما أن ذاكرتي لا تزال تحتفظ بما كنت أسمعه من العلاقة الطيبة جدا التي كانت بين الجيران (مسلمين يهودا)"[2] ، وهذا يدل على أن الروائي جعل من ذكرياته وبالأحرى طفولته منبع خاص لكتابته عن اليهود الجزائريين ذلك لما عاشه معهم وما سمعه عن طيبة قلبهم.

وحالة هذا التعايش كانت من أجل التغلب على أزمات التعصب الديني، واختلاف الحقائق، لذلك يعتبر نصه "نص للمصالحة التاريخية والتعايش الإنساني وفق التنوع العرقي

[1]– لينكس علي، م س

[2]– م ن

والديني والثقافي الذي لا يكاد يخلو منه مجتمع أو بلد في هذا العالم"[1]. فالمجتمع الذي يمكنه السير على نهج المصالحة والتعايش، في الكثير من التهميش والعنصرية والتمييز بسبب التركيب البشري والثقافي فإنه يكون قبلة وقدوة للبلدان المجاورة وبهذا يصنع روح السلام في الناس والعيش في مأمن دون تخوف من الأضرار.

وليتحقق التعايش يجب أن يتحقق الاندماج بين الأجناس المختلفة دينيا أو عرقيا أو لغويا، ما يعطي صورة لتقبل الآخر بكل حالاته وتقبل ثقافته، وهو ما لاحظناه من خلال التمازج الكلي بين الرفيقين وطريقة تشبثهما بالحياة رغما للحالة الصعبة للبلاد فكان كل منهما مكمل للآخر، زيادة لذلك كيفية ثباتهما في الحلوة والمرّة، وما لاحظه الفرنسيون فيهما من خلال الرواية: "شيء ممتاز! تستطيعين أن تقولي أنهما نموذج الاندماج الناجح"[2]. فكانت حياتهما مليئة بالمغامرات، فإذا رأيت أحدا منهما رأيت الثاني أمامه يسانده، بالرغم من أن في بعض الأحيان تباعد الأقدار بينهما، والدليل على ذلك أنهما لم يكونا في نفس التخصص في الجامعة (أرسلان كان في تخصص الفلسفة أما حاييم كان في قسم الصيدلة) إضافة إلى الثورة (أرسلان كان في الجبل أما حاييم يساعد في المدينة)، لكن هذا لم يؤدي إلى إطفاء شمعة محبتهما وصداقتهما التي كان يجدر أن تكون عند الخلق جميعا وفي بلدان العالم كلها.

وعندما تحدث السايح عن التعايش والاندماج بالاعتماد إلى النموذج الجزائري "حاييم" و"أرسلان" واختلاف ديانتهما وثقافتهما، فإنه "أراد بها الإشارة إلى إمكانية تحقيق الأخوة الإنسانية كما يريدها ويتمناها الكثيرون منا، وتحقيق التعايش الإنساني وبالتالي حياة أفضل وأكثر سلاما وأمنا بالانتماء إلى الإنسانية قبل الانتماء الديني أو العرقي، فالاختلاف رحمة

[1]– فاطمة بن حمد، م س

[2]– الرواية، ص160

ونعمة وليس نقمة أو ذريعة للاقتتال والتناحر"[1]. فمن المحبّذ أخذ صورة عن نيات الناس قبل النظر للاختلاف مهما كان لأن ليس كل ما نراه أو نسمعه هو الحقيقة، ذلك لبناء علاقات قائمة على الحق، لأن هذا يعبر عن رضى الإنسان لما قدره مولاه عز وجل. فحب الله في القلب وليس في الدين المتبع لأن كل هذه الديانات مقدسة لو عرف كل واحد كيفية التعامل بها وفهم المغزى منها وأن الصح يكمن في فعل الخير، فيطغى الإيمان على المبادئ كما يجب إذ قال "حاييم": "نحن جميعا أبناء أبينا آدم"[2]. وهذا يظهر جرأة وعي "حاييم" على فهم الأمور الإلهية وتقبلها، ذلك أن الله تعالى ترك لنا حرية الاختيار في الدين الذي نريده ولكن لم يقل بأن كل واحد يقوم باستهزاء الآخر ومحاربته، ويحاول تحبيبه لدينه لأنه يفضله، بل العكس "ليس في نص رواية «أنا وحاييم» انتصار إلا للإنسان كإنسان: «ابن آدم وحواء»"[3]. وعلى هذا السبيل تكونت علاقة "حاييم" و"أرسلان" ومنحا معنى للإنسانية، وقاوما محاولات الكثيرين في التفريق وزرع الحقد والضغينة بينهما، وعليه كذلك- يقول أحد الصديقين- "... فقد تم التنويه بي نموذجا حيا على نجاح الاندماج في مجتمع الجزائر الفرنسية الجديد"[4]، وحتى المجتمع الفرنسي لاحظ هذا التماسك واعترف بهذا الاندماج، ولهذا السبب اصطدم الاثنان جراء معاملة التمييز والنظرة السيئة.

ودهش الآخر المقصي لطبيعة هذه العلاقة المتينة، فسأل مسيو ويل (حارس مدرسة) "حاييم": "ولكن قل لي، "ما طبيعة هذه العلاقة التي تربطك بمسلم غير فرنسي! أنت حاييم بنميمون مواطن فرنسي أعلى من أرسلان حنيفي درجة! فكيف تقبل مصاحبة أنديجان مثله

---

[1]- فاطمة بن حمد، م س

[2]- الرواية، ص. 330

[3]- خالد بيومي، **الروائي الجزائري "الحبيب السائح" اكتب ما سكت التاريخ عنه، الموقع:** https://daily. rosaelyoussef. com/377274 ، تاريخ الإنزال 2020/06/27، تاريخ الزيارة: 2020/10/20

[4]- الرواية، ص 206

والحديث إليه بتلك اللهجة كأنه أحد أفراد عائلتك!"[1]. لكن "حاييم" لم يسمح بهذا التمييز المجحف بحق "أرسلان"، لأنه يعتبره أكثر من صديق، وبالرغم من أنه حقا مختلف عنه لكن هذا لا يمنع بتاتا التعايش والسلام بين الطرفين. فتأتي الإجابة الصادمة: "لا أشعر أنني فرنسي، وأرسلان مثل أخي"[2]. كل المبادئ المؤدية للتنافر بين الأفراد وزرع التباعد، يجب تفاديها من أجل مستقبل زهيد، فهذه العلاقات يمكن اعتبارها كقطبي المغناطيس الإيجابي والسلبي، فرغم هذا الاختلاف يظلان دائما في تجاذب، وهو ما يحدث بين "حاييم" اليهودي و"أرسلان" المسلم، فمع أن لكل واحد دينه لكنهما على اتفاق، لأنهما تمكنا من تجاوز هذه النقطة ، بمعنى "أن أي حديث عن الديمقراطية، أو العدالة، أو العيش في سلام في ظل سلطة شرعية، لابد أن يمر من خلال قناعة حقيقية بوجود مشترك دون اعتبار لأي معيار آخر لمفهوم المواطنة بعيدا عن أي تشارك إنساني"[3]، فالإيمان بوجود الآخر هو ما يحكم العيش بسلام وديمقراطية، وهو الذي يعزز روح الوطنية لدى البشر.

كانت نقطة ضعف وكره الجزائريين والعرب أكمل مقترنة دائما وسيظل طول الزمن بإسرائيل المحتلة والصهيونية حيث نشهد اليوم ويشهد العالم مدى الظلم الذي تسببه لفلسطين وسوريا فاتخذ بذلك وجهة نظر خاصة اتجاه تسلطهم فحاول الروائي الجزائري أن يكرس نشاطه الروائي وإبداعه لكسر هذا التشدد ضد اليهود خاصة لما رآه في معاملة وطبيعة اليهود الجزائريين، لأن "صورة اليهودي في رواية السائح بريئة من أي حمولة إيديولوجية قد تربطها بالأيديولوجية الصهيونية، أو بمشروع الكيان الإسرائيلي"[4]، وهذا ظهر واتضح عندما رفض "حاييم" الهجرة مع اليهوديين الذين تركوا البلاد بعد الاستقلال إلى (فلسطين)، وقرر

---

[1]– الرواية، ص 34

[2]– م ن ، ص35

[3]– آمنة بلعلى، **زحام الأنساق في رواية "أنا وحاييم" للحبيب السايح** ، الموقع، https://kalimates.com/1991، تاريخ الانزال: 11فبراير 2019، تاريخ الزيارة: 2020/10/13

[4]– لونيس بن علي، م س

البقاء مع أحبائه وموطنه العزيز، إضافة لتحمله كل الإهانات والشتم التي تلقاها من حبيبته ("كولدا" اليهودية التي هاجرت لفلسطين) "كيف ليهودي مثلك أن يرهن شرفه ودينه وحياته لهؤلاء الحثالات! وفوق ذلك أن يتواطأ مع قتلتهم من الفلاكة! "[1]، إضافة لعدم قبوله بعرضها للزواج ما أثار غضبها خاصة لرفضه شرطها "... وقد خلفت لحاييم جرحا في القلب، لأنه رفض لها شرطها، لتقبل به زوجا، وهو أن يغادر معها إلى فلسطين كيفما كان مآل الحرب" [2] وأصر على البقاء تحت جناح الجزائر الحبيبة، ولم يقبل فكرة إدارة ظهره لها خاصة في وضعها الصعب وقام برد جميع من حاول إقناعه، إذ قال: "... إلى أين تريدونني أن أغادر؟ هذا وطني. هنا ولدت وولد آبائي. وأخلاط جسدي من تربة هذه الأرض. وفيها أدفن مثل آبائي. فلسطين ليست أرضي ولا وطني"[3]. إذا المعاشرة لا تنصب فقط على من هم من نفس الديانة وأفضل مثال حاييم وكولدا وإنما تكون في الأفكار وطريقة بناءها، فنجد كولدا قد جعلت من يهوديتها مكانة للتبختر والتعالي على الآخرين بعكس حاييم الذي جعل من ديانته سبيلا للخير والتقرب لربه.

جاء كلام "حاييم" نابعا من حبه الحقيقي لوطنه، فقد ولد وكبر في أرضها وهوائها، وتحققت أمنيته أن يدفن فيها، ففي الأخير فقد حياته ودفن في أرضه، في مقبرة اليهود بسبب مرضه بسرطان الدم، ولكن هذا "الموت القاهر لم يقتل الصداقة، لكنه حولها إلى ذاكرة دفاعية عن الحق والتسامح الديني"[4]. ومنه فقد أظهرت هذه الرواية حقا كيفية انتصار الإنسانية على حدود الدين، وأن الموت لا يقضي على حدود التعايش لكن يولد طاقة إيجابية وأن هذه العلاقة ستخلد وتكون نموذج للدفاع عن حقوق الانسان والتسامح الديني وفي هذا

---

[1] – الرواية ، ص. 258

[2] – م ن، 257

[3] – م ن، ص. 162

[4] – واسيني الأعرج، **حاييم أو سيرة اليهودي الطيب**، الموقع: https://www. alquds. co. uk/A8، تاريخ الانزال:18 ديسمبر 2018، تاريخ الزيارة: 2020/10/08

الشأن يقول الحبيب السائح: "حيث ينتصر الجانب الإنساني في الإنسان تتزاح حدود الدين والعرق والإيديولوجية لتفسح المجال للتآخي البشري فتزول المستبقات، لأن الروح أصفى إلى كلمة آدم الأولى، سأكون أباكم جميعا وتكونوا أنتم جميعا ذريتي"[1]. فالإنسانية سبيل لتحقيق المستحيل وطريقة للحفاظ على الأخوة بين الأجيال واستمرارية الالتحام مدى الحياة وتكون قوة المستقبل في تعايش كل الأديان ويتضح من خلال قصة صداقة "حاييم" و"أرسلان" أن السايح منح "إمكانية إعادة قراءة الثورة التحريرية كحدث إنساني تجاوز الغيتو الهوياتي. بل على العكس من ذلك، فقد أبرز أن الوطن يقبل كل أبنائه، وأن غاية الثورة هي تحرير العباد ليس من الاستعمار فقط، بل من تخلفهم ومن انغلاقهم"[2]. فالوطن يوثق السلام والعدل لشعبه ويعلمه ليكون متقدما في فكره ومنفتحا على الحياة ولا يفرق بين سكانه، فالحرب ليست قائمة دائما على الاستقلال والحرية المدنية للبلاد، وإنما يجب أن يكون الهدف من هذه الصراعات هو تحرير عقول البشر في الدرجة الأولى، وإخراجهم من غفوتهم وتخلفهم، لكي تتحاب القلوب وتتجمع الثقافات وينشأ الحوار، هذا هو التحرر الحقيقي.

2- في سبيل تمثيل قيمي نموذجي

أراد الحبيب السايح أن يجعل صداقة "حاييم" و"أرسلان" صداقة نموذجية يقتدى بها، وقد برزت أكثر بعد الاستقلال، حيث "ظهرت ملامح إعادة تشكيل هوية جديدة، ترفض حتى المواطن الجزائري المختلف في الدين"[3]، ويتجلى هذا في الرواية من خلال إقدام جماعة من الجزائريين المتنمرين لطرد "حاييم" لأنهم لا يزالون يعتقدون بأن اليهود يجب أن يخرجوا من

---

[1]- عبد المجيد دقنيش، **لا يمكن للروائي إلاأن يكون شاعرا**، الموقع: https://alarab. co. uk/، تاريخ الانزال: 2018/06/19، تاريخ الزيارة: 2020/10/08

[2]-لونيس بن علي، **ادوارد سعيد قارئا تاريخ الرواية العربية**، الموقع:https://ultraalgeria. ultrasawt. com/ ، تاريخ الانزال: 07مايو2019، تاريخ الزيارة: 2020/10/10

[3]- فريدة إبراهيم، **تمثلات الهوية في رواية "أنا وحاييم". . . للجزائري الحبيب السائح**، الموقع: https://www. google. com/amp/s/www. alaraby. co. uk%3famp، تاريخ الإنزال :2020/04/08 ، تاريخ الزيارة: 2020/10/07

الجزائر كغيرهم من الفرنسيين وأنهم مغتصبون مثلهم، لكن موقف "أرسلان" كان ضدهم، إذ وقف بجانب صديقه وأعطاهم درسا، فقال: "السيد حاييم بنميمون هذا الذي جاء هؤلاء الأشقياء ليعتدا عليه ويسطوا على بيته أصبح جزائريا مثلكم، مثلي، مثل هذه المرأة أمامكم"[1]. فالوطنية، هو ذلك الشعور العفوي النابع من الأعماق الذي ينتابنا في اللحظات الحساسة والتي تجعلنا نفرح أو نضحي من أجل وطننا، وهذا ليس مرتبطا فقط بالدين أو الجنس وإنما مرتبط مباشرة بالقلب والعقل الباطن لكل كائن حتى الحيوان وليس ذلك المستند على ورقة. يضيف "أرسلان" متحديا أولئك القوم المندفعين: "هل فيكم واحد مثل السيد حاييم خاطر بحياته ورزقه من أجل أن يصبح الحلم بالحرية حقيقة كما ترون اليوم؟"[2]. وهنا يتبين مرة أخرى مدى حقيقة الصداقة الجامعة بين "أرسلان" و"حاييم"، ووجوب اتخاذها مصدر إلهام للأجيال في المستقبل والدعوة إلى إنهاء كل تمييز عنصري، سببه الاختلاف الديني: "انتهت الحرب! ومعها يجب أن ينته كل تفكير في الثأر"[3]. على هذا النحو يدعو الحبيب السائح إلى نسيان الأفكار المتشعبة القديمة والسعي لنشر الأمان وتقبل الآخر بكل عيوبه.

حاول الحبيب السائح من خلال كسره لطابو الدين بين الإسلام واليهودية، أن يؤكد على جانب التراضي المطلق الساكن بين الأديان والذي يعتبر أمانة علينا الحفاظ عليها لكي نحافظ على روح ونفس الآخر والمختلف من الهلاك، وتكوين كينونة متسامحة منخرطة في أفكار لبناء غد أسمى، فكانت روايته "نادر مثيلها في الأدب العربي، فهي تنقد التاريخ الرسمي وتقدم وجهة نظر واقعية لما وقع"[4]. فهو يستمد كتاباته من الواقع وأمثلته حية وحقيقة فيركز على الإنسان كموضوع بعيدا عن الأمور الشكلية أو العرقية، ويغض النظر عن هذه

---

[1]– الرواية، ص226

[2]– م ن، ص ن

[3]– م ن، ص ن

[4]– محمد علي القاسمي الحسني، **محمد علي القاسمي الحسني: أنا وحاييم أو حوار الحضارات من وجهة روائية**، الموقع: https://www. raialyoum. com/index. php، تاريخ الإنزال: 2018/11/12، تاريخ الزيارة: 2020/10/07

المسائل كونها تكسر الوئام وتزرع الضغينة بين القارئ والخارج، وتحط من شأن المستوى الأدبي للروائي أو الباحث أيا كان، كما فعل الحبيب السايح الذي يمتلك قدرة واسعة على "الجمع بين الواقع والمتخيل مع إضافة الجانب الإنساني واللغة الشعرية"[1]، وهو كذلك ذلك الخيال والإبداع والقدرة على تمييز المواضيع المنصبة في إمكانية نبش أحاسيس القارئ ومحاولة إضافة الجديد لمعارفهم السابقة لذلك يعتبر السايح من الروائيين الذين ينفعون وينتفعون من مواهبهم ما ننتظره خاصة في أدبيته "أنا وحاييم" التي تستند على أهم ما تسعى البشرية لتحقيقه لتكون في سلام، إذ أكد أن ذلك لا يكون إلا بالحوار والتعايش، ذلك أن فكرة التعدي على خصوصيات الغير تؤدي حتما إلى الدمار، لذلك دعى السائح من خلال هذه العلاقة العميقة إلى محاولة تقبل الديانات الأخرى.

تعد الهوية مصدر قوة ونهوض كل الدول في العالم لمن قدرها، باعتبارها محور لتوافق الثقافات ومرجع للتوافق بين السلالات البشرية والتي تنبني حتما على التعايش ، "إذ أن الجزائر اليوم حالها حال معظم الدول العربية في حاجة إلى التعايش السلمي بين معظم التيارات الفكرية، للوصول إلى بناء دولة مدنية تجمع جميع الطوائف أكثر من كونها تجمعا لبشر دون روح ولا هوية"[2]. فتنوع الأديان والثقافات في ظل غياب الروح الوطنية والإنسانية، سيفضي إلى عيشة همجية وإلى رعب دائم، يقتات من المصالح الضيقة التي تدفع كل طائفة إلى الحفاظ على نفسها، متناسية أن حريتها تبدأ دائما حيث تنتهي حرية الآخرين. ويشكلا لمجتمع الجزائري أحد الاستثناءات، ذلك أنه مجتمع يتعامل بحب مع كل فرد مهما كانت طبيعته، وتفدينا قراءة رواية "أنا وحاييم" معرفة كيفية بناء العلاقات بين أطياف المجتمع الجزائري تحت سواد الأيام وبرودتها وفي أماكن مختلفة (سعيدة، وهران، الجزائر)، إلاّ أن الصداقة التي بناها المسلم واليهودي خير دليل على أن "الإنسانية كانت فوق كل اعتبار.

[1]– محمد علي القاسمي الحسني، م س

[2]– م ن

هكذا كان واقع الجزائر المعاش رغم قساوة الاستعمار"[1]. فلن يملك الاستعمار أداة بقائه واستمراره، لو تكاتف أهالي البلد المستعمر ونبذوا التفرقة والشقاق، وجعلوا مصلحة الوطن والإنسان فوق كل اعتبار.

برز، بعد استقلال الجزائر، خلل في التوازن على مستوى نقطة التعامل مع الأديان، ذلك أن الجرح من خيانة معظم اليهود والمسيح وكذا الجزائريين أنفسهم لم يلتئم بعد، لكن مع مرور الوقت، وكما نشاهد اليوم، قد تغير مبدأ الجزائريين وأصبحوا يدا واحدة في مناسباته، أفراحه وأتراحه، فنجد مثلا العاصمي مع القبائلي والصحراوي يقاومون الحكم الفاسد في البلاد بعضهم مع بعض، فقط لأنهم إخوة وهدفهم واحد، هو إحلال الديمقراطية في البلاد. وعند حلول أي أزمة فهم يحزنون بعضهم لبعض. أما اليهود الذين لازالوا قاطنين فيها، أو المسيح، فتراهم يتجولون بكل أريحية ويساعدون بعضهم بعضا، كما نرى مسلما يمد يد العون لمسيحي مثلا، فهذا كله لأننا أصبحنا مرة أخرى متحررين من الفكر التعصبي، و"الجميل اليوم أن الجزائر عادت تلك الرقعة التي يتعايش بها العلمانيون والإسلاميون. خير دليل هو فتح أبواب الحوار والنقاش بين الطرفين وتبني الكثيرين لأحد التوجهين دون المناداة بقتال الآخر"[2]. وهذا ما يسعى إليه الروائي الحبيب السائح من خلال روايته "أنا وحاييم"، مؤسسا بذلك لتفكير متحضر بديل مستقل ونافر من العادات المتعصبة التي تحطم مبادئ الإنسانية.

[1]– محمد علي القاسمي الحسني، م س

[2]– م ن

مكننا هذا الفصل من البحث في قضية مهمة جدا في تاريخ الجزائر، ساعدتنا جرأة الروائي الحبيب السائح على فهمها وإدراك كيفية تغلغلها بين ثغرات الماضي العريق، من خلال التركيز على تاريخ ما قبل الاستقلال الوطني لوما بعده، لتتوضح لدينا قضية كانت من القضايا المهمشة والمسكوت عنها، التي عاشها الجزائري واتخذها جبهة مقاومة، ومغزاها التعايش السلمي بين الأديان في ظل سنين الحرب المريرة على أساسي وجودي إنساني. فالروائي عمل على تقديم عمل يستهدف فيه القارئ الذي يبغض اليهود، حتى يغير رأيه فيهم، حيث رسم صورة رائعة لصداقة جمعت بين يهودي ومسلم، فقام بتمثيل اليهودي مبينا مشاركته السياسية التي كادت تنهي حياته وتؤدي به إلى الهلاك، وثقافته المتفتحة على العادات والمتسمة بمشاركة الآخر، لتغدو الثقافات متفاعلة ومتحاورة بعضها مع بعض في ظل مجتمع واحد، إضافة إلى تفهمه الديني وإيمانه القوي الذي مكنه من تقبل الدين الإسلامي وإنشاء صلات صلبة مع مسلم، فالاعتراف بالآخر وتقبله بميزاته، وحتى تقبل العيش المشترك بدون أي دوافع ذاتية أو شخصية، تحول إلى نقطة القوة للصديقين. كما سعى الكاتب لإبراز قيم التعايش وإمكانية الحوار بين طرفين متباعدين كل البعد، في كل المجالات، وهذا كله بالاستناد إلى معيار العقلانية والحكمة التي يجب أن تكون في كل مجتمع، حتى يزرع مبدأ الاحترام والتقارب بين أفراده وشعبه، مما مكن "حاييم" من أن يحقق تعايشه داخل المجتمع الجزائري وتأسيسه أو بنائه لهوية فيه.

إن تعايش المسلم مع اليهودي أو المسيحي، ومحاورته، ومنحه كامل الحرية في ممارسة عاداته، وتقبله كما هو، مرده إلى أن "القيم الدينية في كل حضارة كانت هي الأساس للقيم الأخلاقية السامية والمبادئ الإنسانية الرفيعة. والحضارات التي تعني بالقيم والأخلاق تحمل عوامل سقوطها مع لبنات بنائها"[1]. فإذا استغلت هذه القيم في مجتمع يحكم بالعدل والحرية ولا يميز بين شعبه، ويجسد تعاليمه الأخلاقية، وينشِئ أفراده عليها فهو،

[1]– محمد مختار جمعة مبروك، م س، ص. 8

استطاع أنيبني مستقبله على القيم الإنسانية، وبذلك تزدهر المجتمعات وتؤسس الحضارات، وينتهي التعصب الديني والحرب بين المختلفين، ويدرك الجميع أن الأديان كلها تدعو إلى عبادة الرحمن وحده لا شريك له، بالرغم من اختلافها، مصداقا لقوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ" (الروم: الآية 22). فالله عز وجل لما أقر بهذا الاختلاف كان في ذلك حكمة للإنسان، وعلى الإنسان أن يحسن التصرف في نعم الله تعالى ويحسن في تسخيرها خدمة لبني جنسه وترقية لحياته.

خاتمة

عرفت الرواية الجزائرية بعد الاستقلال، وفي ظل أدب ما بعد الحداثة، كمّا هائلا في منتوجها وتنوعا في مضامينها، خاصة ما يتعلق بهاجس الهوية الوطنية، الذي حرك الذاكرة المضادة لدى الأدباء والرغبة في إعادة النظر في التاريخ الجزائري ومحاكاته بطريقة جديدة تخدم الحاضر، حيث تعرض البعض لمسألة المحظورات والطابوهات، سواء الدينية، السياسية أو الجنسية، التي سكت عنها الأدب والأدباء الأوائل لفترة طويلة من الزمن. وفي إطار نهج الكشف هذا، تبنى الخطاب الروائي قضية الأقليات وجعلها من صميم تركيبة المجتمع الجزائري لفترتي ما قبل وبعد الاستقلال الوطني، وأبرز– كما وجدنا في خطاب الحبيب السايح– دورها المهم في صنع الحدث الثوري وحالة الاستقلال.

سعى "الحبيب السائح" الروائي الجزائري المعروف بكتاباته حول الثورة التحريرية، بتقديم موضوع جديد في نفس المحتوى يتصل بالأقليات، راسما عبر روايته "أنا وحاييم" صورة نموذجية للتعايش بين الأديان أساسها الحوار والاحترام، مقابل وضع التهميش والإقصاء والتنافر الذي يحكم العلاقات البشرية حاليا.

تبين، بعد تحليل رواية "أنا وحاييم"، أن التعايش وإمكانية الحوار بين الأطراف تكون أولا بحسن الظن بينها وتقبل كل طرف ثقافة الآخر والنظر إليها نظرة إيجابية، وإحلال ثقافة التقارب القائمة على قبول التجاور والتحاور، ما يعزز العلاقات بين الأفراد والشعوب.

يضع الحبيب السايح التعايش مقابلا للرفض والتهميش ويتخذ من روايته منبرا أدبيا للتأكيد على وجوب تقديم السلطة أو الدولة الأولوية للإنسانية والوجدانية على الاختلافات الدينية، وإعطاء الأقليات حرية ممارسة حقوقها في الحياة وطقوسها.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المعاجم

- جبران مسعود، **الرائد**، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1992
- جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي، **شرح الورقات في أصول الفقه**، تحقيق: حسام الدين بن موسى عفانة، ط1، جامعة القدس، المكان، 1999
- مجد الدين الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مراجعة: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث. طبع،نشر،توزيع،القاهرة،2008
- الشريف الجرجاني، **التعريفات**، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 1413
- صالح العلي الصالح، أمينة الشيخ سليمان الأحمد، **المعجم الصافي في اللغة العربية**، ط1، مطابع الشرق الأوسط، الرياض،1980
- عمر أحمد مختار بمساعدة فريق العمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص. 963.

الكتب

- الأعرج واسيني، **اتجاهات الروايات العربية في الجزائر.البحث في الأصول التاريخية والجمالية**، ط1، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983
- أليكس ميكسيللي، **الهوية**، تر: على وطفة،ط1، تنفيذ دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، 1993، ص.129
- الحبيب السايح، **أنا وحاييم**، ط1، دار ميم للنشر، الجزائر، 2018
- حسن حنفي حسنين، **الهوية**، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2012

- ر. م. البيريس، **تاريخ الرواية الحديثة**، تر: سالم جورج، ط1، منشورات عويدات، بيروت،1967
- رزيق برهان، **الهوية العربية**، ط1، دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،2012
- عبد الحكيم أحمين، **الهويات الافتراضية في المجتمعات العربية**، د ط، مر: محمد شمدين، دار الأمان، الرباط، 2017
- عبد الله الركيبي، **تطور النثر الجزائري الحديث**، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984
- عبد الله محمد الغذامي، ثقافة الوهم. **مقاربات حول المرأة والجسد واللغة**، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1998
- عبد الملك مرتاض، **في نظرية الرواية**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، د ط، ع 240، الكويت،1998
- غازي حسين، **الاستبطان اليهودي في فلسطين من الاستعمار إلى الأمبريالية**، د ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2003
- محمد صالح الجابري، **الأدب الجزائري المعاصر**، ط1، دار الجبل، بيروت، 2005.
- محمد مختار جمعة مبروك، **التعايش السلمي للأديان وفقه العيش المشترك نحو منهج التجديد**، ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي،2014
- مصطفى عطية جمعة، **ما بعد الحداثة في الرواية العربية الجديدة (الذات، الوطن، والهوية)**، ط1، الوراق للنشر التوزيع، عمان، 2011

- ميشال بوتور، **بحوث في الرواية الجديدة**، ترجمة: فريد أنطونيوس، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1982

المجلات

- أحمد وادي، **أبعاد الهوية وعلاقتها بالدولة وعملية بنائها**، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، ع1، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر3، الجزائر، جوان2019
- رحيمة شرقي، **الهوية الثقافية الجزائرية وتحديات العولمة**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 11، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، جوان 2013
- رشيد حمدوش، **بناء الهوية عند الشباب الجزائري أو ميلاد الهويات الصاعدة**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 11، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، جوان 2013،
- زياد الأحمد، "**تحولات الشخصية اليهودية في الرواية العربية**"، صحيفة "العرب"، العدد 11577، دار النشر العربي، لندن، الأحد 5 يناير2020،
- سعاد بن قفة، **أزمة الهوية في الجزائر في ظل التعدد اللغوي (الأسباب –الحلول)** ، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع،ع2،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، الجزائر، جوان 2017
- الصالح بوعزة، **بعد الهوية والمواطنة في المقاربة التربوية الباديسية–نظرة تحليلية**، مجلة تنمية الموارد البشرية،ع11، وحدة البحث تنمية الموارد البشرية، جامعة محمد لمين دباغين–سطيف2،الجزائر، ديسمبر2015
- عبد الحق عمرو بلعابد، **سرديات المحنة (الرواية الجزائرية، من تجريب الكتابة إلى كتابة التجريب)**، مجلة الآداب، ع2، جامعة الملك سعود، الرياض، 2015

- فريال حمود، **مستويات تشكل الهوية الاجتماعية وعلاقتها بالمجلات الأساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي من الجنسين**، مجلة جامعة دمشق، ع1، جامعة دمشق، دمشق، 2011
- لونيس بن علي، **الهوية الثقافية من الانغلاق الإيديولوجي إلى الانتفاخ الحواري: قراءة في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" للروائي الجزائري "عمارة لغوص"**، مجلة تمثلت، ع2، مخبر التمثلات الفكرية والثقافية: إبداع – تواصل– نقد، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، جوان 2015

محمد أمين أوكيل، **الهوية الأمازيغية ومسألة بناء الدولة الوطنية في الجزائر. مقاربة قانونية**، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، ع 04، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة عبد الرحمان ميرا، بجاية، الجزائر، جانفي2019.

- محمد سيد أحمد متولي، "**صورة اليهود في الرواية العربية المعاصرة. رؤية سردية مغايرة**"، مجلة رسالة المشرق، العدد1–2، المجلد 34، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، 2019
- ناصر بودبزة، الشاذلي شوقي، **مقومات الشخصية وتشكل الهوية الوطنية الجزائرية من خلال مكتسبات التلاميذ (دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ ولايات ورقلة)**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع5، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، فيفري 2011

المذكرات

- بشير شايب مجدوب، **مستقبل الدول الفدرالية في إفريقيا في ظل صراع الأقليات نيجيريا نموذجا**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، إشراف: د. عبد المومن، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2011/2010

- حسني هانية، **السياسة اللغوية في المجتمع الجزائري. دراسة تحليلية نقدية للنظام التربوي الجزائري**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، إشراف: عمر أوذينية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2017/2016
- حياة لصحف، **جماليات الكتابة الروائية. دراسة تأويلية تفكيكية**، إشراف: أ.د. محمد بلقاسم، جامعة أبى بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر،2016/2015
- الخنساء تومي، **الشباب الجزائري**، جامعة محمد خيضر بسكرة– أنموذجا –،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، إشراف: أ.د دبلة عبد العالى، جامعة محمد خيضر، بسكرة،الجزائر،2017/2016
- رنا عبد الحميد سلمان الضمور، **الرقيب وآليات التعبير في الرواية النسوية العربية، رسالة دكتوراه في الدراسات الأدبية**، إشراف: أ.د. سامح الرواشدة، جامعة مؤتتة، الأردن،2009
- سليمة فيلالي، **بنية الهوية الجزائرية في ظل العولمة (دراسة على عينة من الطلبة الجامعيين بجامعة باتنة)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، إشراف: أ.د بلقاسم سلاطنية، جامعة محمد خيضر، بسكرة،الجزائر،2014/2013،
- سمير أبيش، **مقومات الشخصية الوطنية والمشروع التربوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(1931_1956)**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل م د) في علم الاجتماع، إشراف: أ.د. نور الدين زمام، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015/2014
- سوسن إبرادشة، **المحكي الممنوع في رواية فضيلة الفاروق**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: د. فتحية كحلوش، جامعة سطيف2، الجزائر، 2014/2013

- غالية غضبان ، **أثر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية لدى الطلبة الجامعيين الجزائريين في ظل العولمة الإعلامية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: أ.د. صحراوي مقلاتي، جامعة الحاج لخضر، باتنة،الجزائر،2018/2017،
- مليكة صياد، **المحظور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة. أمين الزاوي وآسيا جبار أنموذجا**، أطروحة تدخل ضمن متطلبات شهادة الدكتوراه ل م د، إشراف: د.ناوي كريمة، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، 2019/2018
- مولاي أحمد، **ملامح الهوية في السنيما الجزائرية**، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، إشراف: أ. د. بن ذهبية بن نكاع، جامعة وهران، الجزائر، 2013/2012

المواقع الإلكترونية

- صالح مفقودة، **أبحاث في الرواية العربية**، ج1، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، الموقع:

http://online.fliphtml5.com/znxhn/tflc/#p=1

- فاطمة الزهراء حبيب، **ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية. رواية "بماذا تحلم الذئاب" لـ ياسمينة خضرا. دراسة تطبيقية**، إشراف: أ.د حفيظة بلقاسمي، الموقع:

https://theses.univ-oran1.dz/thesear.php?id=THA3943

- كريمة محاوي، **محاظرات في الأدب الجزائري الحديث والمعاصر**، الموقع:

https://www.researchgate.net/publication/339213163_mhadrat_fy_aladb_aljzayry_alhdyth_walmasr

- سعد مومن، **الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية (1945/1920)**،الموقع:

.http://alantologia.com/blogs/12542/

- ياسر الغرباوي، الهوية الجزائرية...3. مسارات لمواجهة التحديات القائمة، الموقع: http://www.tanaowa.org/site/
- إبراهيم الهواري، **كل ما تريد معرفته حول اللغة الأمازيغية ومشكلاتها في الجزائر**، الموقع: https://www.sasapost.com/tamazight/
- على موزاوي، **مسألة الهوية الوطنية في الجزائر من التلاحم الشعبي إلى التوظيف الإيديولوجي ثم التوجه نحو التعايش الوطني**، الموقع: https://m.ahewar.org/s.asp?aid=585959&r=0،
- الشيخ كاظم الصالحي، **الاستعمار الثقافي الفرنسي... الجزائر نموذجا**، الموقع: https://www.iicss.iq/?id=40&sid=217
- حسن رمعون، **التاريخ الوطني والممارسات السياسية والإنتمائية (الهوياتية)**، الموقع: https://journals.openedition.org/insaniyat/11572
- غادة الحلايقة، **مفهوم الهوية الثقافية**، الموقع: https://mawdoo3.com
- عبد العزيز بن عثمان التويجري، **الحفاظ على الهوية والثقافة الإسلامية في إطار الرواية المتكاملة**، الموقع: https://www.google.com/url?sa=t&source=web&rct=j&url=http://www.alhiwartoday.net/node/11655&ved=2ahUKEwivg-jZ0cbtAhWTsnEKHXRaCSUQFjABegQIARAB&usg=AOvVaw0qVfNgT5Df394fBXVjygPS&cshid=1607714891191
- **تيسير عبد الجبار الآلوسي، المحظور في الأدب بين ممارسات التنوييرو الظلام**، الموقع: https://www.google.com/url?sa=t&source=web&rct=j&url=http:/

/elsada.net/99883/&ved=2ahUKEwi-z8WnzsbtAhVSoXEKHYBwCVQQFjAAegQIARAB&usg=AOvVaw2ucKsl92h9jEk3BOsWfjUB

- ميسون العتوم، **جسد المرأة والدلالات الرمزية: دراسة أنتروبولوجية بمدينة عمان**، الموقع: https://journals.openedition.org/insaniyat/13900
- ياسين سعادة، المرأة الجزائرية: **بين ما كتبه الفرنسيون الكولونياليون وبعض الجزائريين وما أبرزه الواقع**، الموقع: https://www.google.com/url?sa=t&source=web&rct=j&url=http://www.univ-chlef.dz/eds/wp-content/uploads/2017/11/Article-16-N7.pdf&ved=2ahUKEwjvtKqbzMbtAhVUu3EKHWb6BKIQFjAAegQIARAB&usg=AOvVaw3gMIdJeR2Eskpnm4qYMeh_
- مولود بنزادي، **الطابوهات والمسكوت عنه في الرواية العربية**، الموقع: https://www.google.com/amp/s/mouloudbenzadi.wordpress.com/2016/04/18/9/amp/
- لقسم الثقافي في الفجر، **ما الذي تبقى من طابوهات الكتابة في الجزائر؟؟**، الموقع: https://www.djazairess.com/alfadjr/226450
- محمد الأمين بحري، **كيف حظر الثالوث المحرم في الرواية الجزائرية؟**، الموقع: https://www.djazairess.com/annasr/188273
- خالد إبراهيم ديسري،ولاء محمد علي الربيعي، **خطاب الأقليات في مواقع التواصل الاجتماعي واتجاهاتها الفكرية وحاجاتها الإنسانية. دراسة تحليلية لصناعات الأقلية**

الدينية والعرقية للمدة، الموقع: https://portal.arid.my/publications/fd2921b4-d942-4a16-8d47-84e5b6cffd0b.pdf

- سمير يوسف، **الإيغور ليسوا وحيدين...الصين و6 بلدان أخرى تضطهد الأقليات المسلمة حول العالم**، الموقع:https://jlworld.org

- فرح جابر، **كيف ينظر يهود العالم العربي إلى مواطنهم؟**، الموقع: https://www.google.com/amp/s/raseef22.net/article/amp/2335/arab-jews

- نبيل محمود السهلى، **اليهود في الدول العربية**، الموقع: https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/16173.html

- مراد كدير، **اليهود والجزائر كرونولوجية الخيانة**، الموقع: https://www.noonpost.com/content/17734[1]- م ن

- فوزي سعد الله، **هذا هو المجهول في حياة يهود الجزائر!**،الموقع: https://www.maghrebvoices.com/2017/10/25/

- فاطمة بن حمد، **أنا وحاييم "مصالحة تاريخية وتعايش إنساني"**، الموقع: http://kritica1.blogsport.com/2019/08/blog-post-21html?m=1

- نسرين أحمد زواوي، **الكاتب الجزائري الحبيب السائح" على النخب السير نحو الأفق الذي رسمه الحراك لبناء مستقبل جزائرالمواطنةوالحريةوالعدالة**، الموقع: https://www.elhayatalarabiya.net/ar/

- لونيس بن علي،"**أنا وحاييم" للحبيب السائح.. رواية عن الجزائر المتعددة**، الموقع: https://ultraalgeria.ultrasawt.com/

- لينكس كالي، **حوار مع الروائي الجزائري الحبيب السايح المدرج على القائمة الطويلة للجائزة الدولية للرواية العربية 2019**، الموقع: https://www.google.com/amp/s/www.dzair-tube.com/46594/3famp

- عبد المالك حمروش، **أغلب يهود الجزائر كانوا معادين للثورة**، الموقع:

https://elsoumoudelcharif.ahlamontada.com/t12240-topic

- خالد بيومي، **الروائي الجزائري "الحبيب السائح" اكتب ما سكت التاريخ عنه**، الموقع: https://daily.rosaelyoussef.com/377274
- آمنة بلعلى، **زحام الأنساق في رواية "أنا وحاييم" للحبيب السايح** ،الموقع: https://kalimates.com/1991-
- واسيني الأعرج، **حاييم أو سيرة اليهودي الطيب**، الموقع: https://www.alquds.co.uk
- عبد المجيد دقنيش، **لا يمكن للروائي إلاأن يكون شاعرا**، الموقع: https://alarab.co.uk/
- لونيس بن علي، **ادوارد سعيد قارئا تاريخ الرواية العربية**، الموقع: https://ultraalgeria.ultrasawt.com
- فريدة إبراهيم، **تمثلات الهوية في رواية "أنا وحاييم"... للجزائري الحبيب السائح**، الموقع: https://www.google.com/amp/s/www.alaraby.co.uk/3famp
- محمد علي القاسمي الحسني، **محمد علي القاسمي الحسني: أنا وحاييم أو حوار الحضارات من وجهة روائية**، الموقع: https://www.raialyoum.com/index.php

الفهرس

مقدّمة.....أ

الفصل الأول

الرواية الجزائرية و سؤال الهوية

المبحث الأول: تمثيل الهوية في الرواية الجزائرية.....6

1-الرواية.....6

أ-لغـة 6

ب-اصطلاحا 6

1-1- الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية 9

1-2- أسباب تأخر الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية 10

1-3- الرواية المكتوبة بالعربية في السبعينيات..... 12

2- الهوية 13

أ- لغة 13

ب- اصطلاحا 14

ج-أنواع الهوية..... 16

1) الهوية الشخصية (الفردية) 16

2) الهوية الجمعية (الجماعية)..... 17

3) الهوية القومية (الوطنية) 17

د- الهوية الجزائرية ومقوماتها 18

1) اللغة 19

2) الدين الإسلامي..... 22

3) التاريخ 24
4) الهوية الثقافية 25
المبحث الثاني: المحظور في الرواية الجزائرية 27
1- المحظور 27
أ-لغة..... 27
ب-اصطلاحا 28
2- أنواع المحظور..... 28
أ- المحظور السياسي 28
ب- المحظور الجنسي..... 29
ج- المحظور الديني..... 30
3- الأقليات 34
أ-لغة 34
ب-اصطلاحا 34

الفصل الثاني:

تمثيل اليهودي وإبرازه في رواية "أنا وحاييم" "للحبيب السائح"

المبحث الأول: مظاهر تمثيل اليهودي في رواية "أنا وحاييم"..... 39
1-التمثيل السياسي 40
2-التمثيل الثقافي والاجتماعي..... 43
3-التمثيل الديني..... 47
المبحث الثاني: تجلي القيم وجلاؤها..... 50

1- التعايش والاندماج شرطا الوجود 50
2- في سبيل تمثيل قيمي نموذجي..... 59
خاتمة **65**
قائمة المصادر والمراجع **67**
الفهرس **78**

ملخّص:

يسعى بحثنا المتواضع "تمثيل اليهودي في رواية أنا وحاييم للحبيب السائح" ، لكسر إحدى المكبوتات في الأدب والحياة الاجتماعية ككل. حيث اعتمدنا على المنهج التاريخي في التحليل والإجابة عن الإشكالية العامة: "كيف صور الحبيب السائح اليهودي في روايته "أنا وحاييم""؟ وكان هدفنا الأسمى من الدراسة، إبراز مظاهر الحوار بين المسلم والآخر اليهودي، وسبب خوض السائح وكتابته للرواية.